الشيخ ندا
أبو أحمد

وصايا رمضانية
(٨)
وصايا تحذيرية

الشيخ/ندا أبو أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصايــا تحذيــرية

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠،٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

نبض الرسالة

وصايا ختامية

الوصية الأولى: إياك وتضيع الوقت في غير فائدة:

اعلم أخي الحبيب... أن الوقت يتميز بأمور لا تكون في غيره، وهي:

١- أنه أغلى ما في الوجود.

٢- كل لحظة تمر تدنيك من أجلك وتبعدك عن أملك.

٣- ما مر من الوقت فلن يعود.

٤- الوقت مطية إلى جنة نعيمها مقيم أو نار عذابها أليم.

الوصية الثانية: إياك وأكل الحرام، فإنه مانع من استجابة الدعاء وقبول الأعمال:

الوصية الثالثة: إياك والمَنّ على اللّه تعالى:

الوصية الرابعة: إياك وسماع الأغاني والألحان في رمضان وفي غيره من سائر الأيام:

الوصية الخامسة: إياك والعكوف على مشاهدة التلفاز طوال شهر رمضان بحجة تضييع الوقت:

كلمة لمن ينشرون الفساد عن طريق الفضائيات ووسائل الإعلام.

الوصية السادسة: إياك وتضييع الأوقات في المكالمات الهاتفية غير المفيدة:

الوصية السابعة: إياك وترك الصلوات المكتوبات:

الوصية الثامنة: إياك وتأخير الصلاة عن وقتها:

الوصية التاسعة: إياك أن يركبك الغم بسبب قدوم رمضان؛ بحجة أنه سَيُمْنَع عنك الشهوات والملذات:

الوصية العشرة: إياك أن تستقيم على طاعة اللّه في نهار رمضان؛ ثم تتحول عنها في الليل:

الوصية الحادية عشر: لا تهمل أهل بيتك:

الوصية الثانية عشر: إياك والسهر بالليل في اللعب واللهو، والنوم طوال النهار:

الوصية الثالثة عشر: إياك والإفراط في قيام الليل والتراويح، والنوم عن صلاة الصبح:

الوصية الرابعة عشر: إياك واصطحاب الأطفال غير المميزين عند صلاة التراويح، والتشويش على المصلين:

الوصية الخامسة عشر: إياك والغضب وهيجان الأعصاب بحجة أنك صائم:

الوصية السادسة عشر: احذر تعمد جلب المشقة على النفس:

الوصية السابعة عشر: إياك والجدال والخصومة خصوصاً في رمضان:

الوصية الثامنة عشر: إياك والكسل خصوصاً في رمضان شهر المغفرة والرضوان، والعتق من النيران.

استعاذة النبي- صلى الله عليه وسلم- من الكسل.

الكسل من الشيطان.

أضرار الكسل:

١- ضياع العمر والصحة فيما لا فائدة فيه، وهو ما يعرف بالغبن.

٢- ومن أضرار الكسل: أنه سبب للغفلة والبعد عن الله تعالى.

٣- من أضرار الكسل: الاتصاف بصفات المنافقين.

٤- ومن أضرار الكسل: الحرمان في الدنيا من السيادة، والقيادة، والريادة.

٥- ومن أضرار الكسل: تفويت الأجور العظيمة.

٦- ومن أضرار الكسل: أنه سبب للحسرة والندامة.

الوصية التاسعة عشر: لا تترك الدعاء في وقت السحر:

الوصية العشرون: احذر الذنوب والمعاصي، فهي المانعة من المغفرة في شهر المغفرة:

الوصية الحادية والعشرون: احذر هذه الصلاة المخترعة التي تُفْعَل ليلة عيد الفطر:

الوصية الثانية والعشرون: إياك والغفلة خصوصاً في رمضان:

الوصية الأولى: إياك وتضييع الوقت في غير فائدة:

فمن الناس في رمضان وفي غيره من الأيام من يضيع أوقات كثيرة في الزيارات أو مشاهدة المباريات أو المسلسلات وكان بالإمكان أن يستثمر هذه الأوقات في التقرُّب إلى الله ﷻ بصالح الأعمال.

اعلم أخي الحبيب... إن المسلم ينبغي عليه أن يغتنم وقت فراغه في طاعة الله قبل أن يحول بينه وبين الأعمال الصالحة، فالوقت هو رأس مال العبد لا ينبغي عليه أن يفرط فيه ويضيعه فيما لا فائدة منه من لغو أو باطل، أو مما لا يعود عليه بالنفع، وعلى كل عبد أو أمة أن يستغل كل لحظة في حياته ويعمل ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل، وكل ساعة تمر لا تقربكَ إلى الله، فهي عليكَ حسرة يوم القيامة، فعليكَ باغتنام الأوقات، والشباب والصحة، والغنى والفراغ قبل يوم الحسرات يوم يُطلب الرجوع عند الممات، فيقال لكَ: فات.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "**اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: شبابك قبل هَرَمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك** ". (صحيح الجامع: ١٠٧٧)

جاء في كتاب "قصر الأمل ص:١٠٥ لابن أبي الدنيا عن عبد الواحد عن صفوان قال: " كنا مع الحسن في جنازة، فقال: رحم الله امرأً عمل لمثل هذا اليوم، إنكم اليوم تقدرون على ما لا يقدر عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور، فاغتنموا الصحة والفراغ، قبل يوم الفزعة والحساب ".

أنت في غفلة الأمل ... لست تدري متى الأجل؟
لا تغرنَّك صحة فهي ... من أوجع العلل
فاعمل الخير واجتهد ... قبل أن تُمْنَع العمل

يقول سعيد بن جبير-رحمه الله-: " كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة ".

فالوقت هو رأس مال العبد وبه يشتري جنة نعيمها مقيم.

واعلم أخي الحبيب... **أن الوقت يتميز بأمور لا تكون في غيره، وهي:**

١- أنه أغلى ما في الوجود:

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ** ".

يقول ابن الجوزي-رحمه الله-: " قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعت (أي الصحة والفراغ) فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها عن الآخرة، فمَن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم ". (فتح الباري:١١/٢٣٤)

ويقول ابن قدامة-رحمه الله-: " فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نفسٍ ينقص به جزءٌ منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل نَفَسٍ جوهرةٌ نفيسة لا عدلٌ لها ولا خلف منها، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم أو العذاب الأليم، وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفسٍ يعدل أكثر من ألف عام

اغتنم في الفراغ فضل ركـوعٍ فعسى أن يكون موتُك بَغْتة

كم صحيحٍ رأيت من غير سُقْمٍ ذهبتْ نفسُه السليمةُ فَلْتــة

٢- كل لحظة تمر تدنيك من أجلك وتبعدك عن أملك:

يقول الحسن البصري-رحمه الله-: " يا ابن آدم اعلم أنك أيام معدودة، فإذا مر يومٌ، مر جزءٌ منك، وإذا مر الجزء فسيمرُّ الكل، وأنت تعلم فاعمل ".

ومر بنا قول ابن قدامة-رحمه الله-: " واعلم أن مدة حياتك محدودة وأنفاسك معدودة، فكل نفسٍ ينقص به جزءٌ منك ".

وصدق القائل:

إنـا لنفـرح بالأيــام نقطعهــا وكل يوم مضى يدني من الأجل

٣- ما مر من الوقت فلن يعود:

فما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له: يا ابن آدم إني يوم جديد وعلى ما تعمل فيَّ شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدم ما شئت تجده بين يديك، وأخِّر ما شئت فلن يعود أبدًا إليك.

نعم. فلو اجتمع أهل الأرض جميعًا على أن يعيدوا إليك نفسًا واحدًا خرج منك ما استطاعوا.

يقول ابن رجب-رحمه الله-: " أيام العافية غنيمة باردة، وأوقات السلامة لا تشبهها فائدة، فتناول ما دامت لديك المائدة، فليست الساعات الذاهبات بعائدة ".

٤- الوقت مطية إلى جنة نعيمها مقيم أو نار عذابها أليم:

فقد أخرج ابن عدي في الكامل بسند فيه مقال عن النبي ﷺ أنه قال: **" الليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة، واحذروا التسويف؛ فإن الموت يأتي بغتة، ولا يغترن أحدكم بحلم الله، فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ".**

وإن كان الحديث لا يصح إلا إن المعنى صحيح، ويشهد له أحاديث أخرى صحيحة.

- **وفي الأثر:** إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما.

- ***وأخرج الإمام مسلم عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ عن رب العزة أنه قال:***"... **يا عبادي إنما أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه... ".**

وصدق القائل حيث قال:

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق والليالي متجرٌ والإنسان والأيام سوق

فرأس مال الإنسان هو عمره، فإن أنفقه في طاعة الله ربح وفاز، وإن أنفقه في معصية الله، خاب وخسر.

وقد قال النبي ﷺ: **" كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها ".**

(رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ)

فمن الناس من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب، **كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١)

ومنهم من يبيعها بخسًا للشيطان والهوى باتباعهما، فيوبق نفسه ويهلكها، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢)

وكان السلف الصالح أعلم بقيمة الوقت، فكانوا حريصين على ألا تمر عليهم لحظة إلا في طاعة الله، وكانوا يعدون ذلك مغنمًا، وعلموا أن ضياع الوقت بلا فائدة مغرمٌ.

كما قال قائلهم:

إذا مرَّ بي يومٌ ولم أقتبس هدى ولم أستفد علمًا فما ذاك من عمري

انظر إلى أبي بكر الصديق ﷺ وكيف كان حريصًا على أن يُعمَّر وقته بطاعة الله تعالى.

ففي الحديث الذي أخرجه الامام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن أصْبَحَ مِنْكُمُ اليومَ صائِمًا؟ قالَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: أنا، قالَ: فمَن تَبِعَ مِنْكُمُ اليومَ جِنازَةً؟ قالَ أبو بَكْرٍ ﷺ: أنا، قالَ: فمَن أطْعَمَ مِنْكُمُ اليومَ مِسْكِينًا؟ قالَ أبو بَكْرٍ ﷺ: أنا، قالَ: فمَن عادَ مِنْكُمُ اليومَ مَرِيضًا؟ قالَ أبو بَكْرٍ ﷺ: أنا، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ما اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ، إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ.**

فالصديق ﷺ فعل هذه الأعمال في أول النهار، فكيف بباقي يومه؟ ولولا أن النبي ﷺ سأل ما علمنا ما قام به أبو بكر ﷺ، فيومه كان عامرًا بطاعة الله، وكان في قمة الإخلاص.

وانظر إلى سعد بن معاذ ﷺ أسلم وعمره ثلاثون عامًا، ومات وعمره سبع وثلاثون عامًا، فمدة إسلامه: سبع سنوات، وكان حريصًا على أن يُعمر وقته بطاعة الله، ولذلك لما مات حَظي بحفاوة، ونال من الفضل ما لم يتحصل عليه كثير من الناس، **حيث قال النبي** ﷺ **عند موته:** " **هذا الَّذي تحرَّك له العرشُ، وفُتحَتْ له أبوابُ السَّماءِ، وشهِده سبعونَ ألفًا من الملائكةِ** ".

(رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-)(صححه الألباني في صحيح النسائي: ٢٠٥٤)

- ***فها هو أبو مسلم الخولاني-رحمه الله- يقول:*** " لو رأيت الجنة عيانًا ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عيانًا ما كان عندي مستزاد". **(صفة الصفوة)**

- ***وقال رجل لعامر بن قيس-رحمه الله-:*** " قف أكلمك، قال: فأمسك الشمس".

- ***وكان داود الطائي-رحمه الله- يستف الفتيت ويقول:*** " بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية".

- ***وقال أبو بكر بن عياش-رحمه الله-:*** " ختمت القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة ".

- ***وكان عمير بن هانئ-رحمه الله- يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة. والنبي*** ﷺ ***يقول:*** " **مَن قال سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرست له نخلة في الجنة**" **(رواه الترمذي من حديث جابر)**

فكم ضيَّعنا من نخيل؟؟

- ***وها هو أبو البركات-رحمه الله- جد شيخ الإسلام ابن تيمية:*** " إذا أراد أن يدخل الحمام للاغتسال؛ يأتي بابنه ويقول: "يا بني اجلس عند باب الحمام واقرأ وارفع صوتك". **(حتى يحفظ وهو داخل الحمام)**

وقال الحسن البصري-رحمه الله-: " أدركت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه ".

- أما اليوم فقد ماتت فيه الهمم، وخارت العزائم، وأصبح هناك دعة وراحة وتكاسل، تمر الساعات والأيام ولا يحسب لها حساب، **ينادي أحدهم على صاحبه قائلًا:** " تعال لنضيع الوقت".

فتضييع الأوقات بمشاهدة المباريات، أو الجلوس في الطرقات طوال النهار، أو المحادثة على الشات، وتضيع الساعات على النت أو الفضائيات أو المكالمات، ومن النساء من تقف الساعات الطوال أمام المرآة، وغير ذلك من صور ضياع الوقت الممقوتة، وهذا كله دليل على مقت الله للعبد، **كما قيل:** " **من علامة المقت إضاعة الوقت**".

فالمؤمن ليس عنده وقت فراغ، **قال تعالى لنبيه** ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الشرح:٨)

فَإِذَا فَرَغْتَ من شغلك ومن الناس ومن شواغل الحياة، فتوجه إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة.

يقول الشافعي-رحمه الله-: " صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين، سمعتهم يقولون:" الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل".

قال ابن القيم-رحمه الله- كما في" مدارج السالكين" مُعلقًا على كلام الشافعي: " يا لها من كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما، وأدلهما على علو همة قائلها ويقظته ". اهـ

- فمن جهل الناس بقيمة الوقت يفرحون بمغيب شمس كل يومٍ، وهم لا يدركون أن هذا نهاية يوم من أعمارهم لن يعود أبدًا إليهم، صحائف طويت، وأعمال أحصيت، وأنفاس انقضت.

بل الأخطر من ذلك أن هناك من يضيع وقته في معصية الله:

فمن الناس مَن يجلس طوال نهار رمضان أمام التلفاز، ثم يتابع بعد الإفطار إلى قبل طلوع الفجر، فضيَّع نهاره وليله في مشاهدة ما يندى له الجبين، من مناظر خليعة، أو سماع ما حرَّم الله من غناء أو طرب.

فعجبًا لهؤلاء الذين يصومون عن الحلال من طعام وشراب وجماع، ثم يقعون ويفطرون على الحرام.

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال كما عند الطبراني في "الكبير": " **رب صائم ليس من صيامه إلا الجوع والعطش** ". (صحيح الجامع:٣٤٩٠)

– وهناك من يضيِّع الأوقات في المسامرة والمحادثة مع الآخرين، وربما وقع في غيبة أو نميمة، **ونسي هذا المسكين قول رب العالمين:** ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٢)

ونسوا كذلك قول الرسول الأمين ﷺ والحديث عند البخاري: " **مَن لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** ".

فإلى الذين يُضيِّعون الأوقات في معصية رب الأرض والسماوات، ***أذكرهم بحديث خير البريَّات:*** " **رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذكرتُ عنده فلم يُصَلِّ عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له، ورَغِمَ أنفُ رجل أدرك عنده أبَواهُ الكِبَر فلم يُدْخلاهُ الجنة** ".

(أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ) (صحيح الجامع: ٣٥١٠)

وفي رواية أخرى عند الطبراني من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أتاني جبريل، فقال: يا محمدُ! مَن أدرك أحدَ والديهِ فمات فدخل النار فأبعدَه الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: يا محمد! مَن أدرك شهرَ رمضانَ فماتَ ولم يُغفَر له فأُدخلَ النارَ فأبعده الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: ومَن ذُكرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك فماتَ فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين** ".

(صحيح الترغيب والترهيب:٩٨٦) (صحيح الجامع: ٧٥)

رَغِمَ أنفُه في الطين والتراب مَن كان رصيده في رمضان من المسلسلات وبرامج المسابقات.

فيا باغي الشر أقصر، فرمضان فرصة قد لا تتكرر لك، وموسم قد لا يُعوض، فالبدار البدار قبل فجأة الموت، وعندها يطلب الإنسان العود لإصلاح الزاد ليوم الميعاد، ولكن يُقال له: فات.

أيها الغافل عن شرف هذا الزمان، أين أنت من قول الرحمن: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢١)

أين أنت من قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤)

فالصالحون تنافسوا في الخيرات، ففازوا بالحسنات، طمعًا في الجنات، وأنت أيها المسكين ما زلت أسيرًا للشهوات، وعبدًا للَّذات، وقلوب المتقين إلى هذا الشهر تحنُّ، ومن ألم فراقه تئنُّ، وأنت ما زلت في غفلة.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ... حتى عصى ربه في شهر شعبان

لقد أظلك شهر الصوم بعدهما ... فلا تصيره أيضًا شهر عصيان

آه من لوعة ضيف كريم بين قوم من الساهين الغافلين، آه لو نعرف حق هذا الشهر وقدره؛ لتمنينا أن تكون السنة كلها رمضان، ولكنها الغفلة التي ملئت قلوب الساهين اللاهين الغافلين.

فيا عُبَّاد الشهوات والشبهات، يا عُبَّاد الملاهي والمنتديات، يا عُبَّاد الشاشات والفضائيات:

ما لكم لا ترجون لله وقارًا، ولا تعرفون لشهر رمضان حلالًا أو حرامًا؟!

فيا مَن أدركت رمضان، وأنت ضارب عنه صفحًا بالنسيان، هل ضمنت لنفسك الفوز والغفران؟!

أتراك اليوم تفيق من هذا الهذيان، والذل والهوان؟!

يا خيبة ويا حسرة مَن لم يخرج من رمضان إلا بالجوع والعطش، فيا مُضيع الزمان فيما ينقص الإيمان، يا معرضًا عن الأرباح، متعرضًا للخسران، يا مَن أسرف على نفسه وأتبعها الهوى، وجانب الجادة في أيامه وغوى، هاك رمضان قد أقبل فجرد فيه إيمانك، وامح به عصيانك، فهو والله نعمة كبيرة، ومنة كريمة، وفرصة وغنيمة، فهيا إلى التوبة، هيا إلى الأوبة، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد:١٦) هيا أعلنها، وقل: بلى. يا رب قد آن، بلى. يا رب قد آن.

أيها العاصي... ها هي التوبة في رمضان معروضة، ومواسم الطاعات مشهورة

فلئن أتعبتك المعاصي، وأثقلتك الذنوب، فاعلم أن لك ربًا يريد منك أن تتوب: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء:٢٧)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠)

وفي الحديث القدسي: **" يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة ".**

(رواه الترمذي)

يا أيها العاصي... كيف تعصيه وأنت فوق أرضه التي خلق، وتحت سمائه التي فتق؟! تتنفس هواءه، وتأكل وتشرب من نعمِهِ وآلائه! وتعصيه بأعضائك التي أعطاها لك وحرمها غيرك، أفٍّ لك!

هل تستطيع أن تتحمل خيانة مَن ربَّيته وأنعمت عليه؟! وأنت لم تخلقه!

يا لها من نعمة عليك عظيمة! أنْ أمهلك اللهُ حتى هذه اللحظة لتتوب، ولم يأمر الله أن تخطفك ملائكة الموت وأنت على عصيانك، فتُلقى في النار.

فاحمد الله ﷻ أن منَّ عليك بنعمة الحياة حتى أدركت هذا الزمان، ولم يقبضك على العصيان.

فهيا أُخْلُ بنفسك، ناجِ ربك، وأسل دمعك، وطهِّر قلبك حتى تخرج من هذا الشهر وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك، تب إلى الله توبة نصوحًا. لكن إن أبيت إلا العصيان، وملازمة المعاصي في رمضان، فتوضأ وكبِّر على قلبك أربع تكبيرات فإنه لا قلب لك. اللهم أحي قلوبنا، وثبتنا على الإيمان يا رحيم يا رحمن.

الوصية الثانية: إياك وأكل الحرام، فإنه مانع من استجابة الدعاء وقبول الأعمال:

فمن الناس من تراه في رمضان يصوم عن الحلال من الطعام والشراب والزوجة، لكنه منغمس في أكل الحرام. ***وقد جاء في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم بسند صحيح عن أبي إمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" إنَّ رُوحَ القُدُسِ[1] نفثَ[2] في رُوعِي[3]، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها، وتستوعِبَ رزقَها، فاتَّقوا اللهَ، وأجمِلُوا في الطَّلَبِ[4]، ولا يَحمِلَنَّ أحدَكم[5] استبطاءُ الرِّزقِ[6] أن يطلُبَه بمَعصيةِ اللهِ[7]، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُنالُ ما عندَه إلَّا بِطاعَتِهِ ".** **(صحيح الجامع: ٢٠٨٥)**

ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن هناك فئة من الناس يحملها ضيق أو استبطاء الرزق أن تطلبه بمعصية الله تعالى فلم يتركوا بابًا من أبواب الحرام إلا فتحوه، ولا طريقًا مشبوهًا إلا سلكوه، ولا يبالي أحدهم من أين كان مطعمه أمن حلال أم من حرام.... وإلى الله المشتكى.

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال: **" لَيَأْتِيَنَّ علَى النَّاسِ زَمانٌ، لا يُبالِي المَرْءُ بما أخَذَ المالَ، أمِنْ حَلالٍ أمْ مِن حَرامٍ ".** **(رواه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ)**

١- إنَّ رُوحَ القُدُس: أي جبريلَ عليه السَّلامُ.
٢- نَفَثَ: أي أوْحى.
٣- في رُوعِي: أي في نَفْسي وقَلْبي.
٤- وأجْمِلوا في الطَّلَبِ"، أي: اسْعَوْا في طلَبِ الدُّنيا باعتدالٍ دُونَ إفراطٍ أو تَفريطٍ، واطْلُبوا الحَلالَ برِفْقٍ؛ لأنَّ الرِّفْقَ لمْ يكُنْ في شَيءٍ قَطُّ إلَّا زَانَه، ولَا مُنِعَ من شَيءٍ إلَّا شانَه، فطَلَبُ الرِّزْقِ برِفْقٍ أجْمَلُ من طَلَبِه بعُنْفٍ، واتْرُكوا أخْذَ الحرامِ، كما في روايةِ ابْنِ مَاجَهْ من حديثِ جَابِرٍ ﷺ: "خُذُوا ما حَلَّ، ودَعوا ما حَرُمَ".
٥- ولا يَحْمِلَنَّ أحدَكُمْ: أي: لا يَدْفعنَّه.
٦- اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ: أي: تأخُّرُ الرِّزْقِ، وهذا فيما يَراهُ، ولكنَّ قَدْرَ الرِّزْقِ وموعدَه مُقدَّرٌ عند اللهِ.
٧- أنْ يَطْلُبَهُ بمعصيةِ اللهِ: ومعلومٌ أنَّ الرِّزْقَ لا يَتأخَّرُ عن وَقْتِه، ولكنَّ الإنسانَ قد يَسْتعجِلُه قبْلَ وقْتِه المُقدَّرِ، فإذا لم يأْتِ قبْلَ ذلك الوَقْتِ اسْتَبْطَأَهُ فطَلَبَه من الحرامِ.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ النَّاسَ سَوفَ تَتغيَّرُ بهم الأحوالُ، وتَتبدَّلُ بهم الأزمانُ، ويَأتي عليهم زَمانٌ يَضْعُفُ فيه الدِّينُ، وتَفسُدُ الضَّمائرُ والذِّممُ، ويَتكالَبُ النَّاسُ فيه على جَمْعِ المالِ، ولا يُبالي المَرءُ مِن أينَ أصابَ المالَ؛ مِن حَلالٍ أو حَرامٍ، فلا تُهِمُّه الوَسيلةُ الَّتي اكتَسَبَ بها المالَ، والطَّريقَ الَّذي أَخَذَه مِنه، سواءٌ كان مِن كَسْبٍ حَلالٍ، كالبيعِ المَبرورِ، وعَمَلِ اليدِ، أمْ مِن الحرامِ، كالاختِلاسِ والرِّبا، والقِمارِ والرِّشْوةِ، وغيرِها، فَهَدَفُهم وغايتُهم جَمْعُ الأموالِ والتَّكسُّبُ دونَ تَحرِّي الحَلالِ والحرامِ. (الدرر السنية)

يقول ابن كثير–رحمه الله– في" تفسيره:١/٢٥٠": **عند قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢) يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم الله تعالى، وأن يشكروه تعالى على ذلك والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة ".

وصدق ابن كثير–رحمه الله– فكما أن أكل الحرام يمنع قبول الدعاء، فهو كذلك سبب لعدم قبول العبادة.

إما كون أكل الحرام يمنع قبول الدعاء فدليله ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!".

فإذا نظرت لحال هذا الرجل رأيته جاء بأربعة أسبابٍ يستجاب معها الدعاء: فإنه مسافر، وللمسافر دعوة مستجابة،" أشعث أغبر" أي حُصولُ التَّبذُّلِ في اللِّباسِ والهيئةِ وهو أدعى لقبول الدعاء، ورفع يديه إلى السماء والله تعالى حيي يستحي إذا رفع عبده إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبة، والإلحاحُ على اللهِ في الدعاء، فقال:" يارب يارب" والله يحب هذا، ومع كل هذا الأمور إلا أنه لم يقبل له دعاء، لأنه مطعمه ومشربه وملبسه حرام، وغذي من حرام.... فأكل الحرام يرد الدعاء.

يقول ابن رجب–رحمه الله– في الحديث السابق: " أكل الحرام، ومشربه، ولبسه، والتغذي به، سبب موجب لعدم إجابة الدعاء ". (جامع العلوم والحكم ص: ٩٢)

وقال الإمام النووي–رحمه الله– في" شرحه على مسلم:٧/١٠٤": " في الحديث الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه: أن المأكول، والمشروب، والملبوس ينبغي أن يكون حلالًا خالصًا لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره ".

وكما أن أكل الحرام سبب في عدم قبول الدعاء، فهو كذلك سبب لعدم قبول الأعمال.

وقال ابن رجب–رحمه الله– أيضًا في" كتابه جامع العلوم والحكم ص: ٣٩:" وفي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ (المؤمنون:٥١) المراد بهذا أنَّ الرُّسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال، وبالعمل الصالح، فمتى كان الأكل حلالًا فالعمل الصالح مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولًا؟

قال ابن كثير–رحمه الله– في" تفسير الآية السابقة":" يأمر الله تعالى عباده المرسلين– عليهم الصلاة والسلام أجمعين– بالأكل من الحلال، والقيام بالعمل الصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح ". اهـ (تفسير ابن كثير:٢٣٨/٣)

فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، فالمال الحرام لا يقبله الرحمن وعمل صاحبه مردود عليه.

فقد أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مقال من حديث أبي هريرة ﷺ أن الحبيب النبي ﷺ قال: **" إذا خرج الحاجُّ حاجًّا بنفقةٍ طيبةٍ، ووضع رجلَيهِ في الغرزِ[1]، فنادى: لبيك اللهم لبيكَ، ناداه منادٍ من السماءِ: لبيك وسعديكَ، زادُك وراحلتُك حلالٌ، وحجُّكَ مبرورٌ غيرُ مأزورٌ، وإذا خرج بالنفقةِ الخبيثةِ فوضع رجلَه في الغرزِ فنادى: لبيك، ناداه منادٍ من السماءِ: لا لبيك ولا سعديكَ، زادُك حرامٌ، ونفقتُك حرامٌ، وحجُّك غيرُ مبرورٍ".** (السلسلة الضعيفة: ٤٤٠٣)

فالحج مردود غير مقبول بسبب النفقة الحرام. **وقد قيل:**

يا من أردت الحج بمال أصله سحت ... فما حججت ولكن حجت العير

لا يقبل الله إلا كل طيب فما ... كل من حج بيت الله مقبول

وإن كان الحديث ضعيفًا إلا أن المعنى صحيح وتشهد له أحاديث صحيحة منها: **" لا تُقْبَلُ صَلاةٌ بغيرِ طُهُورٍ ولا صَدَقَةٌ مِن غُلُولٍ[2] ".**

فأكل الحرام سبب لعدم قبول الأعمال.

يقول ابن عباس–رضي الله عنهما–: **" لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام (حتى يتوب إلى الله تعالى منه)".** (جامع العلوم والحكم لابن رجب ص: ٩٣)

– ***ويقول وهب بن الورد–رحمه الله–:***" لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام ". (المصدر السابق)

– ***ويقول سفيان الثوري–رحمه الله–:***" من أنفق الحرام في الطاعة كان كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال ".

---

١ – الغرز: ركاب من جلد.

٢ – الغُلول: وهو ما سُرِقَ وأُخِذَ مِنَ الغَنيمةِ قبلَ أن تُقَسَّمَ، وسُمِّيَت بذلك لأنَّ الآخِذَ يغُلُّ المالَ في مَتاعِه، أي: يُخفيه فيه، ويُطلَقُ على الخيانةِ مُطلَقًا، والمُرادُ منه هنا مُطلَقُ المالِ الحرامِ، أُخِذَ خُفيةً أو جَهرةً، ويَشمَلُ النَّهيُ كلَّ المالِ العامِّ.

- ***ويقول يوسف بن أسباط-رحمه الله-:*** " إذا تنسك الشاب، قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء، قال: دعوهُ يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ". **(مختصر شعب الإيمان)(إحياء علوم الدين للغزالي)**

- ***يقول الفضيل بن عياض-رحمه الله-:*** سئل سفيان الثوري عن فضل الصف الأول، فقال: انظر كسرتك التي تأكل، من أين تأكلها؟ وصل في الصف الأخير ". **(يعني لا يضرك لو صليت في الصف الأخير)**

- ***ويقول أبو عبد الله الناجي الزاهد-رحمه الله-:*** " خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بالله عز وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل ".

وذلك إذا آمنت بالله تعالى ولم تعرف الحق لم تنتفع، وإذا عرفت الحقَّ ولم تعرف الله لم تنتفع، وإذا عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تنتفع، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع ".

(جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله ص: ٣٩)

فإذا نظرت إلى من يأكل الحرام تجده في قلق، واكتئاب، واضطراب في النفس، ضيق في الصدر، وسواد في الوجه، ودعاء مردود، وعمل غير مقبول. وفي الآخرة فعذاب النار وغضب الجبار سبحانه.

فقد أخرج الطبراني من حديث أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **كلُّ جَسَدٍ نبتَ مِنْ سُحْتٍ فالنارُ أولَى بِهِ** ". **(صحيح الجامع: ٤٥١٩)**

- ***وفي رواية:*** " **إنَّهُ لا يربو لحمٌ نبتَ من سحتٍ إلَّا كانتِ النَّارُ أولى بِهِ** ". **(صحيح الترمذي: ٦١٤)**

فيا من تجمع من الحرام:

دع الحـرص على الدنيا ... وفي العيش فلا تطمع
لا تجمع من الحرام فإنك ... لا تـدري لمن تجمـع
فـإن الـرزق مقســوم ... وسـوء الظـن لا ينفع
فقير كـل مـن يطمـع ... غني كـل مـن يقنـع

(عقلاء المجانين لابن حبيب)

ولله در القائل:

النفس تجـزع أن تكـون فقيـرة ... والفقـر خـير مـن غنى يطغيهـا
وغنى النفوس هـو الكفاف فإن ... أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها
هي القناعـة فالزمها تكن ملكًا ... لـو لـم تكـن لك إلا راحـة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هـل راح منها بغـير الطيب والكفن

الوصية الثالثة: إياك والمَنّ على الله تعالى:

فهناك مَن يكثر من فعل الطاعة في رمضان، ثم تجده يقول: لقد قمتُ، وصمتُ، وفعلتُ... وفعلتُ، كأنه يمنُّ على الله لهذه الطاعات، وما علم هذا المسكين أن الذي أعانه على فعل هذه الطاعة هو الله تعالى، فكيف يمنّ على الله بها؟ **وهو القائل سبحانه:** ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل:٥٣)

وكان بعض السلف يقول: " كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلًا... ثم يعجب المسكين بعمله ".

ولقد بيَّن النبي ﷺ عقوبة المَنَّ على الله تعالى أو على غيره من البشر.

ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" ثلاثة لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقرأ رسول الله ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا مَن هم يا رسول الله؟ قال: المُسْبِل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ".**

– ***وعند الطبراني:*** **" ثلاثة لا يتقبَّل الله منهم صرفًا ولا عدلًا: عاق، ومنَّان، ومكذب بالقدر"**

وتجد أن الشارع الحكيم شرع لنا الاستغفار بعد فعل الطاعة، لعل هذا الاستغفار يجبر كل نقص وزلل وخلل في الطاعة، ويستغفر اللهَ تعالى كحال المسيء المُقصِّر في حق سيده، حتى لا يعجبُ بعمله ويمنُّ على الله تعالى.

– فها هي الصلاة شُرِع لك بعدها أن تستغفر الله ثلاثًا.

– وكذا الحج تستغفر الله بعده، **كما قال تعالى:** ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **(البقرة:١٩٩)**

– ***والنبي ﷺ يُعلِّم عائشة –رضي الله عنها– أن تقول إذا وافقت ليلة القدر:*** **" اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني".** يأمرها أن تسأل العفو كالمسيء المقصر.

– وكذلك فرض النبي ﷺ زكاة الفطر بعد رمضان؛ طهرة للصائم من اللغو والرفث.

– وكذلك شرع صيام ستة أيام من شوال، وهذا شأن النافلة بعد الفرض؛ لجبر وسد الخلل الذي ربما قد يكون في الفرض، فإياك... إياك والمن على الله.

نسأل الله أن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وفي السر والعلن.

الوصية الرابعة: إياك وسماع الأغاني والألحان في رمضان وفي غيره من سائر الأيام:

من المعلوم أن سماع الأغاني والألحان حرام، ويزداد الأمر قبحًا وسوءًا خصوصًا عند سماعها في رمضان، فهو شهر القرآن، ولكن جعله البعض لسماع مزامير الشيطان وهذا حرام.

أدلة تحريم الغناء من القرآن الكريم:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (لقمان: ٦، ٧)

- ***وقد أخرج الحاكم وصححه البيهقي عن ابن مسعود ﷺ قال:*** " **والله الذي لا إله غيره هو الغناء، وظل يرددها ثلاثًا** ".

- ***قال ابن كثير-رحمه الله-:*** " كذا قال ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وجابر، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد ".

ثم قال ابن كثير في هذه الآية: " لما ذكر الله تعالى السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على سماع المزامير والغناء والألحان وآلات الطرب ". اهـ.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الإسراء: ٦٤)

ومعني الآية: أن الله تعالى يقول للشيطان: استفزز الساهين واللاهين بصوتك الذي هو الطرب والغناء وما صاحبه من موسيقى... وغيرها من المعازف، وأُزَّهم أزًا وحركهم إلى المعصية ومرّنهم على الفاحشة والفجور.

فكل من سمع الغناء فليعلم أن الشيطان قد استحوذ عليه فصار من حزبه، وقد دعاه الشيطان فقال: لبيك.

وقال القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " إن هذه الآية دليل على تحريم الغناء والمزامير واللهو، فما كان من صوت الشيطان أو فعله فيجب التنزه عنه ".

ثم أيَّد ما استنبطه بالحديث الذي رواه الإمام أحمد عن نافع مولى ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: " **كنت أسير مع ابن عمر، فلما سمع زمارة راع فوضع إصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته إلى الطريق، وهو يقول: يا نافع. أتسمع؟ فأقول: نعم. فيمضي... حتى قلت: لا. فرفع يده وعدل راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت الرسول ﷺ سمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه كما فعلت** ".

- **وفي رواية:** " **فصنع مثل هذا** ".

- ***قال القرطبي:*** " وهذا في غناء هذا الزمان عندما كان يخرج عن حد الاعتدال، فكيف بغناء زماننا؟؟".

يا الله! القرطبي يقول ذلك: وهو في القرن السادس من الهجرة، فكيف لو رأيت زماننا يا قرطبي؟!

وأما الأدلة من السنة فكثيرة ونكتفي منها:

بما رواه البخاري عن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **" ليكونن من أُمتي أقوامٌ يستحلُّون الحر والحرير والخمر والمعازف".**

ومعني الحديث: أنه سوف يأتي قوم يستحلون المحرمات، منها فروج النساء ولبس الحرير (أي للرجال)، وشرب الخمر، ويستمعون المعازف والغناء، ويقولون: هذا مباح فيعزفون ويطبلون ويرقصون ويغنون، وإذا جابهتهم وأنكرت عليهم، قالوا: هذا مباح وقد صحت نبوءته ﷺ بذلك.

ويستفاد من الحديث تحريم الغناء وذلك من وجوه: الأول: قوله: **" يستحلون"** إذ الأصل هو الحرمة، ولكنهم يستحلون ما حرم الله. **الثاني:** اقترانه بالزنا والخمر ولبس الحرير، وكل هذه الأمور محرمة.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال:

" يشربُ ناسٌ من أمتي الخمرَ، يسمُّونها بغيرِ اسمِها، يُضرَبُ على رؤوسِهم بالمعازفِ والقَيْناتِ، يَخسِفُ اللهُ بهم الأرضَ، ويجعلُ اللهُ منهم القِرَدَةَ والخنازيرَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٣٧٨)

وأخرج الترمذي عن عمران بن الحصين ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" في هذه الأمةِ خَسْفٌ، ومَسْخٌ، وقَذْفٌ، فقال رجلٌ مِن المسلمين: يا رسولَ اللهِ! ومتى ذلك؟ قال: إذا ظَهَرَتْ القِيانُ والمعازفُ، وشُرِبَتْ الخمورُ".**

- ***وفي رواية:*** **" سيكونُ في آخرِ الزمانِ خَسْفٌ، وقذفٌ، ومَسْخٌ، إذا ظَهَرَتِ المعازِفُ والقَيْناتُ، واسْتُحِلَّتِ الخمْرُ ".** (صحيح الجامع: ٣٦٦٥)

قال ابن القيم-رحمه الله-: " ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم الغناء وآلات الملاهي فأقل ما يقال أنها شعار الفساق وشاربي الخمور". اهـ.

وقال ابن عباس وعبد الله بن مسعود-رضي الله عنهم-: **" إن الغناء يُنبت النفاق في القلب كما يُنبت الماء البقل ".**

وكان الإمام مالك-رحمه الله- يقول عن الغناء: " إنما يفعله عندنا الفُساق ".

ولذا كان القانون المصري سنة ١٩٣٨ ميلادية يرد شهادة المغني والممثل.

وكان الضحاك-رحمه الله- يقول: " الغناء مفسدة للقلب ومسخطة للرب ".

وكان الفضيل بن عياض-رحمه الله- يقول: " الغناء رقية الزنا ".

الوصية الخامسة: إياك والعكوف على مشاهدة التلفاز طوال شهر رمضان بحجة تضييع الوقت:

إن التلفاز فتنة دخلت كل بيت وعكف الناس عليه، فاستشرى الفساد في جسد الأمة حتى وصل إلى النخاع، وما نراه الآن من اغتصاب، وخروج النساء عاريات، وعلاقات مُحرمة، وانتشار الرشوة، والغناء، والخنا، والفجور... وغير ذلك كان سببه (المُفسديون) الذي أفسد على الناس دينهم لما يشاهدونه من مناظر داعرة لنساء خليعات عارية، ورجال يتكلمون بكلام العشق والمجون، وكذا مزامير الشيطان... وغير ذلك من ألوان المعاصي.

لكن ما حُكم هذا الجهاز؟؟

- جاء في فتاوى اللجنة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية: أن الجلوس أمام التليفزيون جائز إن كان المسموع غير مُحرم، كتلاوة القرآن والمحاضرات الدينية، والنشرات التجارية، والأخبار السياسية، ويكون ممنوعًا إن كان المسموع محرمًا كالأغنيات الخليعة، والكلمات الماجنة، وأصوات المغنيات، ولو بأغنيات غير ماجنة، وأغاني الرجال الذين يتكسرون في غنائهم أو يتخنثون فيها.

وبالجملة: فالجلوس للاستماع تابعان لحكم المسموع حلًالا كان أو حرامًا، وقد يمنع ما كان جائزًا من السماع والجلوس من أجل الإفراط فيه وتضييعه الوقت، فقد يكون الإنسان في أمسِّ الحاجة إلى شغله بما يعود عليه بالنفع وعلى أسرته وعلى الأمة بالنفع العميم، والخير الكثير، والأحوط في ذلك تركه؛ لأنه قد يكون وسيلة إلى سماع ورؤية ما يحرم سماعه ورؤيته.

ويقول الدكتور عبد الله ناصح علوان-رحمه الله- في رسالته "حكم الإسلام في وسائل الإعلام": " ما دام التليفزيون اليوم يرمي في أكثر برامجه إلى إهدار الشرف، ويوجه نحو الفساد والإباحية، ويشجع على السفور والاختلاط، فإن اقتنائه، والاستماع إلى برامجه، والنظر إلى مشاهده يعد من أكبر الحرام، وأعظم الإثم، **وإليكم الدليل على ذلك:**

١- أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون في كل زمان ومكان أن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة هم: حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ النفس، وحفظ المال. **وقالوا:** إن كل ما جاء في الشريعة من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وقواعد أصولية تهدف إلى حفظ هذه الكليات الخمس، وباعتبار أن أكثر برامج التليفزيون الحالية من أغاني ماجنة، وتمثيليات خليعة، ودعايات مثيرة، وأفلام فاسدة تستهدف إهدار الشرف، وضياع العِرض، وشيوع الزنا والفاحشة، فإنه يحرم النظر إليها والاستماع لها؛ للحفاظ على النسب والعرض.

٢- ***أخرج الإمام مالك والدارقطني عن أبى سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:*** " **لا ضرر ولا ضرار**".
فهذا الحديث الشريف يعد قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قعدها الفقهاء، واستنبطها علماء الأصول؛ لأن عليها مدار الإسلام في أوامره ونواهيه؛ ولأنها تهدف إلى تحريم كل ما يضر بالفرد والمجتمع والأخلاق بلفظ بليغ موجز، وباعتبار أن التليفزيون في برامجه الحالية يوجه إلي ميوعة وانحلال، ويثير في المجتمع الكوامن الغريزية والشهوة، فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ويدخله بيته؛ حفاظًا على عقيدة الأسرة وأخلاقها؛ وقطعًا لدابر الأضرار التي تنجم عنه وتطبيقًا لقاعدة:" **لا ضرر ولا ضرار**".

٣- **من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية قاعدة: سد الذرائع**، ومعناها: تحريم المباح لكونه يؤدي إلى حرام.
فباعتبار أن النظر إلى برامجه الحالية يؤدي إلى الفساد والتحلل، صار اقتناؤه أو استعماله محرمًا لكونه يؤول إلى أسوأ المفاسد وأحط الأخلاق.

٤- **إن أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التليفزيون مصحوبة بالمعازف والغناء الخليع والرقص والمجون:** وباعتبار أن الاستماع إلى الموسيقى والمعازف محرم، وباعتبار أن النظر إلى الراقصات والنساء المتبرجات بصفة خاصة، يترتب عليه إثارة الغرائز، وهياج الشهوات، كان اقتناؤه حرامًا، وبالتالي كان النظر إلى هذه البرامج محرمًا أيضًا، لما لها من خطر في تقويض دعائم التربية والأخلاق،

هذه عدا ما للتليفزيون من:

- **أضرار صحية:** كإضعاف البصر، وتعويد من هو مُغرم به على السهر.
- **وأضرار نفسية:** كتعلق القلب بممثلة حسناء شغلت لُبه وتفكيره.
- **وأضرار تعليمية:** كإشغال الطلاب عن واجباتهم المدرسية وتكوينهم الثقافي.
- **وأضرار فكرية:** كإضعاف الذاكرة وملكة التفكير، والفهم والاستيعاب.
- **وأضرار مالية:** كإتلاف المال في شرائه، والأسرة في أمسِّ الحاجة إلى تأمين حاجياتها الضرورية.
- **وأضرار اجتماعية:** ما يترتب من الاجتماع عليه من علاقات مشبوهة، وحوادث خُلُقِية، ومفاسد عائلية، يعاني منها من يقضي أكثر وقته في النظر إليه والسهر عليه.

كلمة لمن ينشرون الفساد عن طريق الفضائيات ووسائل الإعلام:

إن أصحاب الفضائيات والإذاعات في زماننا معظمهم يستعد لرمضان قبل مجيئه بستة أشهر، يحشد كل فيلم خليع، وكل مسلسل وضيع، وكل غناء ماجن للعرض على المسلمين في أيام وليالي رمضان؛ لأن رمضان كريم كما يعلنون، ولسان حالهم يقول: شهر رمضان الذي أنزلت فيه الفوازير والأفلام والمسلسلات. ولأن مردة الشياطين من الجن تصفد وتقل في شهر رمضان، عز على إخوانهم من شياطين الإنس الذين يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون، عزَّ عليهم أن يفيء الناس إلى ربهم، فشغلوهم بما هو جديد في عالم الأفلام والمسلسلات.

إن رمضان شهر البركات والرحمات، وهل يُتصوَّر أن تتنزل الرحمات على مشاهدي الفوازير والأفلام والمسلسلات، التاركين للعبادات.

فيا أيها المفسدون... أقصروا عن نشر الفساد، وإشاعة الفواحش، **قال تعالى:**

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (النور:١٩)

أيها الناس... فرّوا من المفسدين فراركم من الأسد، إن المفسدين هم قُطَّاع الطريق إلى الله، **إنهم مَن قال الله فيهم:** ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة:٢٢١)

وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف:٢٨)

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٧، ٢٨)

فالمفسدون يدعونك لزنا العين وزنا الأذن، فلا تطاوعهم، **وتذكر قول الحق:**

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ (الإسراء:٣٦)

قال جابر: " إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ يوم صومك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء ".

كن أيها الصائم كما وصف رب العالمين عباده الصالحين، **فقال:** ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان:٧٢)، **وقال:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون:٣)

ولقد بيَّن الله الحكمة من تشريع الصيام في قوله ﷻ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)

الوصية السادسة: إياك وتضييع الأوقات في المكالمات الهاتفية غير المفيدة:

وهذا فيه من المفاسد، ومنها: ضياع للمال، وضياع للأوقات، وربما الوقوع في المحظورات كالغيبة والنميمة.

١- فأما ضياع المال:

فذلك نتيجة كثرة المكالمات، ومما لا شك فيه أن الإنسان سيسأل يوم القيامة عن ماله: من أين أخذه وفيما أنفقه، وهل أخذه من حِلٍّ ووضعه في حق.

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي برزة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة؛ حتى يُسْأل عن أربع خصال: عن عُمُره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟ وعن علمه ماذا عَمِل فيه؟".**

قال بعض العلماء: " مصيبتان لم يسمع بهما الأولون والآخرون، **في مال العبد:** يُؤخذ منه كله ويُسأل عنه كله ".

والخطر يكون عظيمًا عندما يُدفع هذا المال بسبب أحاديث الغيبة والنميمة، أو كلام لا ينفع ولا يضر – كما سيأتي في المحظور الثالث.

٢- وأما ضياع الأوقات:

فلو اعتبرنا دفع المال في المكالمات التي فيها شر أو ليس فيها خير من السفه، فأشد من ذلك إتلاف الأوقات والأنفاس، ثرثرة لا تجدي ولا تعود بالنفع، **قال تعالى:** ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٤)

– ***وكان عطاء بن أبي رباح يقول:*** **" إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أو أمر بالمعروف أو نهي عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد منها. أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. أما يستحي أحدكم إذا نُشرت صحيفته التي ملأها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس في أمر دينه ولا دنياه؟ ".**

– ***وقال الحسن البصري–رحمه الله–:*** **" يا بن آدم بُسِطت لك صحيفة وَوُكِّلَ بك ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر ".**

– ***وقال عمرو بن العاص ﷺ:*** **" الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع وإن أكثرت منه قتل ".**

ومن الحِكم والأقوال المأثورة:

- دليل عقل المرء قوله، ودليل أصله فعله.
- إذا تم العقل نقص الكلام.
- من كَثُرَ كلامُه كَثُرَ مَلامُهُ.
- بكثرة الصمت تكون الهيبة.
- سلامة الإنسان في حفظ اللسان.

٣- وأما الوقوع في المحظورات:

وذلك لأن الكلام المباح يجرُّ في الغالب إلى محظور، كالغيبة والنميمة، وهذا ما يحدث في الغالب، وإذا جاء النهي عن تضييع الأوقات، فكيف إذا كانت إضاعتها في أحاديث الغيبة والنميمة، ***وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه:*** **" وهل يكبُّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟".**

ولذلك كان بعضهم يقول: يا لسان قل خيرًا تغنم، أو أمسك عن شر تسلم، من قبل أن تندم.

فعندما نتكلم لا بد أن نضع نُصب أعيننا **قوله تعالى:** ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨)

ألا فليتق الله هؤلاء الثرثارون من الرجال والنساء الذين يقضون الساعات في أحاديث تليفونية لا طائل تحتها ولا فائدة من ورائها، فإن الله كَرِهَ لنا قِيلَ وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

الوصية السابعة: إياك وترك الصلوات المكتوبات:

فمن الناس مَن لا يُصلِّي مطلقًا، لكن في رمضان نرى المساجد في بداية الشهر قد عمرت بالمصلين، ومُلِئت على بكرة أبيها، وربما صلَّى الناس خارج المساجد من كثرة الزحام، ثم يبدأ العد التنازلي لصلاة الجماعة حتى يقتصر على رُوَّاد المساجد الأُوَّل، ويكون آخر شهر رمضان مثل غيره من شهور العام، ومن المعلوم أن شهر رمضان جُعِلَ للتنافس في النوافل، فكيف بمَن يفرِّط في الفرائض؟

فيا مَن تترك الصلاة المكتوبة... هل تحب أن تُحشر مع فرعون وقارون وهامان وأُبي بن خلف؟

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **" مَن حافظ على الصلاة كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً من النار، ومَن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبيّ بن خلف ".**

فأين عقول الذين باعوا مرافقة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقة الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا.

كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (المدثر:٣٨ - ٤٣)

والأدلة كثيرة على خطورة ترك الصلاة وهلكة وعظم ذنب تاركها، وليس هذا محل لسردها.

يقول ابن حزم-رحمه الله-: " لا ذنب بعد الشرك أعظم من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها، وقتل مؤمن بغير حق ". اهـ

وقال الحافظ الذهبي-رحمه الله-: " ترك كل صلاة أو تفويتها كبيرة، فإن فعل ذلك مرات فهو من أهل الكبائر إلا أن يتوب، فإن لازم ترك الصلاة فهو من الأخسرين الأشقياء المجرمين ". اهـ

ويقول ابن القيم-رحمه الله- كما في "كتاب الصلاة وحكم تاركها" ص:٣: " لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة ".

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يكتب إلى الآفاق: " **إن أهمَّ أموركم عندي الصلاة، فمَن حفظها فقد حفظ دينه، ومَن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع، ولا حظ في الإسلام لمَن ترك الصلاة** ". (كتاب الصلاة لابن القيم)

وعلى هذا فكل مُستَخِفّ بالصلاة، مستهين بها، فهو مُستَخِفّ بالإسلام مستهين به، وإنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فاحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك.

وصحّ عن النبي ﷺ أنه قال: " **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة** ". (رواه الترمذي وابن ماجه)

ألست تعلم أن الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط، ولم يُنتَفَع بالطنب ولا بالأوتاد، فكذلك الصلاة في الإسلام.

فليحذر هذا الصنف من إضاعة الصلاة؛ **حتى لا يدخل تحت قوله تعالى:** ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم:٥٩)

يا من تصومون رمضان وتتركون الصلاة... إن الذي فرض عليكم الصيام هو الذي فرض عليكم الصلاة، والمطلوب من المسلم أن يعمل بكل أركان الإسلام، **كما قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة:٢٠٨)

فلنعلم جميعًا أن أول ما سنحاسب عليه من أعمالنا يوم القيامة الصلاة.

فقد أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " **إنَّ أولَ ما يحاسبُ به العبدُ يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضةٍ، قال الرب ﷻ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل منها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على ذلك** ". (صحيح الجامع:٢٠٢٠)

وحال الذي يحرص على الصيام مع تركه للصلاة، كحال الذي يبني قصرًا ويهدمُ مصرًا، والصلاة كما نعلم هي عمود الدين، ***كما أخبر الرسول الأمين ﷺ كما عند الترمذي وابن ماجه:*** " **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله** ".

ونحن نعلم أن الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط، ولم يُنتَفَع بالطنب ولا بالأوتاد، فكذلك الصلاة في الإسلام.

الوصية الثامنة: إياك وتأخير الصلاة عن وقتها:

فكثير من الناس ينشغل عن الصلاة ويأخرها بسبب الأعمال أو غير ذلك، أو يتأخر في النوم حتى يخرج وقتها، وخصوصًا صلاة الفجر، ولقد توعَّد الله كل مَن يؤخر الصلاة عن وقتها بالويل والعذاب الشديد، **فقال تعالى:** ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون:٥،٤)

أي: يؤخرونها عن وقتها أو يخرجونها عن وقتها بالكلية كما قال مسروق: وهذا من صفات المنافقين

وانظر قول النبي ﷺ فيمن أخر صلاة العصر.

فقد أخرج الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: " **تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقر أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلًا** ".

ولئن يفقد الرجل أهله وماله خير له من أن يفوته وقت الصلاة.

فقد أخرج عبد الرزاق في "مصنفه" أن النبي ﷺ قال: " **لأن يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت الصلاة** ".

يقول ابن حزم-رحمه الله- كما في" كتاب الكبائر للذهبي ص:٢٦ : " لا ذنب بعد الشرك أعظم من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها وقتل مؤمن بغير حق ".

فلنعلم جميعاً... أن أحب الأعمال عند الله ﷻ هي الصلاة على وقتها

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " **سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله** ".

يقول سعيد بن المسيب-رحمه الله-: " ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد ".

(سير أعلام النبلاء:٤/٢٢١)

وقال صاحب تحفة الأحوذي:٢/٤٥": " كان السلف إذا فاتتهم تكبيرة الإحرام عَزوا أنفسهم ثلاثة أيام، وإذا فاتتهم الجماعة عزوا أنفسهم سبعة أيام ".

الوصية التاسعة: إياك أن يركبك الغم بسبب قدوم رمضان؛ بحجة أنه سَيُمْنَع عنك الشهوات والملذات:

فأهل الغفلة وبغاة الشر يستثقلون رمضان، ويعدون أيامه ولياليه وساعاته؛ لأن رمضان يحجب عنهم الشهوات، ويمنعهم اللذات، **يقول شاعرهم:**

ألا ليت الليل فيه شهر وَمرَّ نهاره مرّ السحاب

وهذا كله ليس من تعظيم شعائر الله، **وقد حكي:** أنه كان لهارون الرشيد غلام سفيه كان يستثقل الصيام، فلما أقبل شهر رمضان تضايق هذا الغلام، ***وأخذ يقول:***

دعاني شهر الصوم ولا كان من شهر ولا صمت شهرًا بعده آخر الدهر

فلو كان يُعْدِيني الأنام بقوة على الشهر لاستعديتُ قومي على الشهر

يعني: لو كان الناس يستطيعون مساعدتي على حرب هذا الشهر لطلبت منهم ذلك.

فأصابه الله بمرض الصّرع، فكان يصرع في اليوم عدة مرات، ومازال كذلك حتى مات قبل أن يصوم رمضان الآخر.

فلابد أحبتي في الله أن نفرح بقدوم هذا الشهر الكريم، ونستبشر بذلك استبشارنا بقدوم حبيب غائب جاء من سفره، إذ أن التأهب لشهر رمضان والاستعداد لقدومه من تعظيم شعائر الله تبارك وتعالى **القائل:**

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)

ولابد أن نعلم جميعًا أن ترك الشهوات في الدنيا من أجل الله سبب للفوز بها في الآخرة.

وهذا مفهوم ما قاله النبي ﷺ: **" مَن شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها، حُرمها في الآخرة ".**

(رواه البخاري ومسلم)

وقوله ﷺ: **" مَن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ".** (رواه البخاري ومسلم)

وقوله ﷺ: **" مَن ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها ".** (رواه الترمذي)

وقوله ﷺ: **" إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه مَن أعطش نفسه لله في يوم صائف؛ سقاه الله يوم العطش ".** (رواه البزار)

– *وفي رواية:* " إن الله تعالى قضى على نفسه أن مَن أعطش نفسه لله في يوم حار، كان حقًا على الله أن يرويه يوم القيامة ".

وقوله ﷺ: **" إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغْلِق فلم يدخل منه أحد**

(رواه البخاري ومسلم)

وفي رواية ابن خزيمة: **" فإذا دخل آخرهم أُغلِق، ومَن دخل شرب، ومَن شرب لم يظمأ أبدًا ".**

وغير ذلك من الأدلة التي تدل على أن الإنسان إذا تعجَّل الملذَّات والشهوات التي نهاه عنها رب الأرض والسموات حُرِمها في الآخرة، ومَن تركها لله في الدنيا نالها بأفضل منها في الآخرة.

الوصية العشرة: إياك أن تستقيم على طاعة الله في نهار رمضان؛ ثم تتحول عنها في الليل:

إن كثيرًا من المسلمين في هذا الزمان لم يفهموا حقيقة الصيام، وظنوا أن المقصود منه هو الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح! أمسكوا عمَّا أحل الله لهم، لكنهم أفطروا على ما حرّم الله عليهم! فأي معنى للصيام هذا الذي يقول عند أذان المغرب: ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله، ثم يشعل سيجارة، ثم في الليل يصير عبدًا لشهوته، ويعكف على القنوات الفضائية، أو الشبكات العنكبوتية، أو زبونًا في الملاهي الليلية، والتجمعات الغوغائية، والخيام . المسماة زورًا . بالرمضانية، وإذا دعي إلى صلاة التراويح والقيام تعلل بالمرض والأسقام، والبرد والزكام، وغواية اللئام.

يقول الحسن البصري–رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان:٦٢)، **قال:**" مَن عجز بالليل كان له من أول النهار مستعتب، ومن عجز بالنهار كان له من الليل مستعتب ". اهـ.

وربُّ النهار هو ربُّ الليل، ومع هذا تجد مَن يصن نفسه عن الوقوع في المعصية والذلل في نهار رمضان، لكن مع أذان العشاء والانتهاء من صلاة التراويح إذ بالشخص نفسه يتقلب في ألوان المعاصي والذنوب، فيجلس أمام الأفلام والمسلسلات، ويستمع إلى الأغنيات، ويقف في الطرقات ينظر للغاديات، وكأن رمضان عنده هو النهار فقط، وفيه لا تُرتكب الذنوب، وتكون طاعة علاَّم الغيوب، أما إذا جنَّ الليل توقفت الطاعات، وأُحل له ما كان محرمًا عليه في النهار

فنقول لهؤلاء الذين ينظرون إلى الحرام في ليالي رمضان؛ أهذه العين التي كانت تدمع عند قراءة القرآن في نهار رمضان؟! وإلى هؤلاء الذين يستمعون إلى الغناء ومزامير الشيطان في ليالي رمضان، أهذه الأذن التي أنصتت لكلام الرحمن في نهار رمضان؟! وإلى هؤلاء الذين يطلقون العَنان للِّسان، فيقع في الغيبة والبهتان، أأنتم الذين كنتم تقرأون القرآن، وتؤمِّنون على دعاء الإمام؟! إن هذا لشيء عُجاب. فإلى هؤلاء نذكِّرهم بقول رب العالمين، **حيث قال في كتابه الكريم:** ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ (النحل:٩٢)

فلا تضيِّعوا أجوركم وثواب ما عملتم في النهار، وتكونوا كحال هذه المرأة الخرقاء، التي كلما نسجت ثوبًا جميلًا ثم مع غروب الشمس نقضته من بعد إبرام، وحتى تعلموا قيمة الليل في رمضان، ***اقرءوا معي كلام الحبيب العدنان*** ﷺ **حيث** *قال:* **"مَن قام رمضان – والقيام لا يكون إلا في الليل – إيمانًا واحتسابًا؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه ".**

وقال ﷺ كذلك: " **مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه** ".

وقال ﷺ كذلك: " **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صُفِّدتِ الشياطين، ومردة الجن، وغُلِّقتْ أبواب النار فلم يفتح فيها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة** ". (أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ) (صحيح الجامع: ٧٥٩)

فرغم أنف إنسان في الطين والتراب؛ لأن حظه في رمضان كان السهر على الأفلام والمسلسلات والمسابقات، وتَرَكَ المنافسة والسباق إلى جنة عرضها السماوات والأرض. فهؤلاء فاتهم الفضل العظيم؛ لأنهم ليسوا من أرباب القيام، ولا من المجتهدين في جنح الظلام.

الوصية الحادية عشر: لا تهمل أهل بيتك:

عند دخول شهر رمضان ترى بعض الناس ينشغلون فيه بالقيام، والصيام، والصدقة، والاعتكاف، والعمرة، وغير ذلك من أعمال الخير والقربات، لكن في نفس الوقت تراهم يهملون أهليهم وذويهم فلا توجيه ولا متابعة ولا نصح، مما ينتج عن ذلك مفاسد عظيمة، فالإنسان لا يبحث عن نجاة نفسه فقط ويترك من هو مسئول عنهم، فلا نجاة له إلا بنجاتهم.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦)

ومعنى تفسير الآية: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به.

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: **كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالإمَامُ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ.**

وقوله ﷺ:" **كُلُّكم راعٍ ومَسؤولٌ عن رَعيَّتِه**"، والرَّعْيُ: هو حِفظُ الشَّيءِ وحُسنُ التَّعَهُّدِ له، والرَّاعي: هو الحافِظُ المُؤْتمَنُ المُلتَزِمُ صَلاحَ ما قامَ عليه، فكُلُّ مَن كانَ تحْتَ نَظَرِه شَيءٌ فَهو مُطالَبٌ بالعَدلِ فيهِ والقيامِ بمَصالِحِه في دِينِه ودُنْياهُ ومُتَعَلِّقاتِه، فإنْ وفَّى ما عليه مِن الرِّعايةِ حَصَلَ لَه الحَظُّ الأَوفَرُ والجَزاءُ الأَكبَرُ، وإنْ كانَ غَيرَ ذلكَ طالَبَه كلُّ أحَدٍ مِن رَعيَّتِه بِحَقِّه، واللهُ عزَّ وجلَّ سائلُه عن تلك الرَّعيَّةِ إنْ فرَّطَ في حُقوقِها.

وقد جاء في سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" كفى بالمرءِ إثمًا أن يُضَيِّعَ من يقوتُ ".** (ضعيف)

وفي صحيح مسلم: **" وأن لزوجِك عليك حقًا ".** ***وفي رواية:*** **" وإنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ".**

وقد صح عن النبي ﷺ أنه طَرَقَ فاطمة وعليا-رضي الله عنهما- ليلة، فقال: **" ألا تصليان؟".** (متفق عليه)

وكان عمر ﷺ يصلي من بالليل ما شاء الله حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة ثم يقول: الصلاة... الصلاة ويتلو هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه: ١٣٢)

وكان عبد الواحد بن يزيد يوقظ أهله كل ليله ويقول: يا أهل الدار! انتبهوا فما هذه دار نوم، عن قريب يأكلكم الدود؟.

وكانت امرأة حبيب أبي محمد توقظه بالليل وتقول: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت أمامنا ونحن قد بقينا ".

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود واللفظ له والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" رحِمَ اللَّهُ رجلًا قامَ منَ اللَّيلِ فصلَّى وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّت فإن أبَت نضحَ في وجهِها الماءَ رحِمَ اللَّهُ امرأةً قامَت منَ اللَّيلِ فَصلَّت وأيقَظَت زَوجَها فإن أبَى نضَحَت في وجهِهِ الماءَ ".** (صحيح أبي داود: ١٤٥٠)

وكم من والد أشقى ولده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته على شهوته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، فإذا رأيت الفساد في الأولاد فلتعلم أنه في الغالب من قِبل الآباء.

وانظر إلى حال السلف وكيف كانوا لا يهملون أولادهم، ويدربوهم على فعل الخير.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء-رضي الله عنها- قالت: **أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلى قُرَى الأَنْصَارِ: مَن أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَومِهِ، ومَن أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ. قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، ونُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، ونَجْعَلُ لهمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ، أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حتَّى يَكونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ.**

وحين نقارن حالنا بحال الصحابة الكرام نجد البون شاسعًا، حيث نجد أن البعض في هذا الزمان يمنع أولاده من الصيام والقيام وبعض أعمال البر- مع رغبة الولد فيه- مخافة أن يصاب الولد بالإرهاق والتعب.

الوصية الثانية عشر: إياك والسهر بالليل في اللعب واللهو، والنوم طوال النهار:

فترى كثيرًا من المسلمين يسهرون بالليل، لكن ليس في قيام أو طاعة، إنما يجلسون أمام الشاشات أو يذهبون إلى الأسواق والملاهي، والخيام الرمضانية، والسهرات التليفزيونية، والماتشات الدورية، ثم ينامون قبيل الفجر فلا يصلونه، وربما ناموا إلى قبيل العصر وفاتهم أيضًا الظهر، وهذا أمر خطير.

أضف إلى هذا أنهم مخالفون لفطرة الله التي فطر الناس عليها، حيث جعل النهار معاشًا والليل لباسًا، **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبأ:١٠، ١١)

أضف إلى هذا أنه مخالف لهدي النبي ﷺ فقد كان النبي ﷺ يكره الحديث بعد العشاء.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد ﷺ قال عن النبي ﷺ: "... وكانَ يَسْتَحِبُّ أنْ يُؤَخِّرَ العِشاءَ -الَّتي تَدْعُونَها العَتَمَةَ - وكانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَها، والحَدِيثَ بَعْدَها[1]...".

- ***وعند الترمذي بلفظ:*** " كانَ النَّبيُّ ﷺ يكرَهُ النَّومَ قبلَ العِشاءِ، والحديثَ بعدَها ".(صحيح الترمذي: ١٦٨)

أضف إلى هذا أيضًا أنهم لا يشعرون بلذة الصيام أبدًا، ولا يجدون أثره عليهم، ولا يشعرون بالحكمة من مشروعيته، فإن من الحِكَمِ أن يشعر الغنيُّ بالجوع ليتذكر أخاه الفقير، ويذكر نعمة الله عليه بالطعام والشراب طيلة أيام العام، ثم يجيء عند هذه الأيام فقط فيشعر بقيمة هذه النعمة.

ومن الحِكَمِ كذلك اختبار إرادة الصائم، حيث يُمْنَع من شهوة الطعام والشراب والجِماع، فيترك هذا استجابة لله ولرسوله؛ فيكون أمامه الطعام والشراب والزوجة لكن يترك هذا كله لله طواعية.

أحبتي في الله... لابد من العزم الصادق، والهمة العالية على اغتنام رمضان بالأعمال الصالحة.

قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (محمد:٢١)

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة:٤٦)، فعلينا أن نجد ونجتهد في هذا الشهر، فمَن أراد الراحة ترك الراحة، والمكارم منوطة بالمكاره، والخير لا يُنال إلا بحظ من المشقة، ولا يُعبر إليه إلا على جسر من التعب.

١- اللهم إلا إذا كان السهر في مدارسة علم أو قيام ليل، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا سمرَ إلَّا لمُصَلٍّ، أوْ مُسافِرٍ ". (صحيح الجامع: ٧٤٩٩) (الصحيحة:٢٤٣٥). - وفي رواية:" لا سمرَ بعدَ الصَّلاةِ- يَعْني عشاءَ الآخِرةِ- إلَّا لأحدِ رجلينِ مصلٍّ أو مسافرٍ ".
وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ:" لا سَمَرَ" وهو الحديثُ والسَّهَرُ ليلًا،" إلَّا لمُصَلٍّ" يقومُ اللَّيلَ بالصَّلاةِ والنافِلَةِ؛ وذلك لأنَّه بالسَّمَرِ يتروَّحُ قليلًا ثم يُقبِلُ على صَلاتِه، "أو مُسافِرٍ" حيثُ يَسْمُرُ مع غَيْرِه، ويَسهَرُ لِيَطوِيَ المسافاتِ باللَّيلِ؛ وسببُ النَّهيِ عن السَّمرِ: أنَّه يُؤدِّي إلى السَّهرِ، ويُخافُ منه غَلَبةُ النَّومِ عن قِيامِ اللَّيلِ، أو الذِّكْرِ فيه، أو عن صَلاةِ الصُّبحِ في وقْتِها الجائزِ أو المختارِ أو الأفضَلِ، ولأنَّ السَّهَرَ في اللَّيلِ سببٌ للكَسَلِ في النَّهارِ عمَّا يتَوجَّهُ مِن حُقوقِ الدِّينِ، والطَّاعاتِ، ومَصالِحِ الدُّنْيا، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (يونس: ٦٧)؛ وعلى هذا فلا ينبغي السَّمَرُ في اللَّيلِ إلَّا لفائدَةٍ، وَما لا بُدَّ منه مِنَ الحَوائِجِ، كما في حَديثِ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ عندَ التِّرْمِذيِّ: "كان رسولُ اللهِ ﷺ يَسمُرُ مع أبي بَكْرٍ في الأمْرِ من أمْرِ المُسلِمينَ وأنا معهما"، وهكذا كلُّ ما كان فيه مصلحةٌ أو حاجةٌ داعيةٌ إليه، كمُدارسةِ العِلمِ، وحكاياتِ الصالحين، ومُحادثةِ الضَّيفِ، والعروسِ للتأنيسِ، ومُحادثةِ الرجلِ أهلَه وأولادَه للمُلاطفةِ والحاجةِ، والحديثِ في الإصلاحِ بين الناسِ، والشفاعةِ إليهم في خَيرٍ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنكَرِ، والإرشادِ إلى مصلحةٍ، ونحوِ ذلك.

قيل للربيع بن خثيم – وكان مجتهدًا في العبادة –: لو أرحت نفسك؟ قال: راحتها أريد ".

فنيل الدرر من قاع البحر لا يأتي إلا بعد معاناة الشدائد.

إن رمضان هو مضمار سباق شعاره: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣)

إن همم الرجال عند قمم الجبال، وهمم المتقين هو دخول جنَّة رب العالمين، والنظر إلى وجه الله الكريم، فليكن شعارك في رمضان: "**لا يسبقني إلى الله أحد**".

وليكن شعارك في رمضان: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه:٨٤)

وليكن شعارك في رمضان: " **ليرينَّ الله ما أصنع** ".

الوصية الثالثة عشر: إياك والإفراط في قيام الليل والتراويح، والنوم عن صلاة الصبح:

وهذا خطأ كبير وحال هذا كالذي يبني قصرًا ويهدم مصرًا، وقيام الليل أجره عظيم وثوابه كبير، لكن هذا لا يغني عن صلاة الفرض التي سيسأل عنها يوم القيامة، أضف إلى هذا أنها تعدل في الأجر قيام الليل كله.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عثمان ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **مَن صلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة، ومن صلَّى الصبح في جماعة فكأنما صلَّى الليل كله** ".

وكيف يفرط الإنسان في صلاةٍ، والسُّنَّة القبلية لها خير من الدنيا وما فيها، فكيف بالفرض.

أخرج الإمام مسلم من حديث عائشة –رضي الله عنها– أن النبي ﷺ قال: " **ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها** ".

فالسهر إن ضيع الصلاة المفروضة فلا يجوز وإن كان في قيام الليل.

فقد أخرج الإمام مالك في" الموطأ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَدَ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَأَنَّ عُمَرَ ﷺ غَدَا إِلَى السُّوقِ، وَمَسْكَنُ سُلَيْمَانَ بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالسُّوقِ، فَمَرَّ عَلَى الشِّفَاءِ، أُمِّ سُلَيْمَانَ. فَقَالَ لَهَا: لَمْ أَرَ سُلَيْمَانَ فِي الصُّبْحِ. فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَاتَ يُصَلِّي، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ. فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: لأَنْ أَشْهَدَ صَلاَةَ الصُّبْحِ فِي الْجَمَاعَةِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً ".

يا الله.. إنه ما سهر في معصية ولكن انظر ما قاله عمر ﷺ لتعلم قدر صلاة الفجر.

الوصية الرابعة عشر: إياك واصطحاب الأطفال غير المميزين عند صلاة التراويح، والتشويش على المصلين:

فبعض الناس يصطحب معه ولده الصغير غير المميز إلى المسجد، وغيره يفعل مثل فعله، فيكون المسجد كالحضانة، فلا يستطيع الإمام أن يقرأ، ولا المصلون أن يخشعوا، وهذا الرجل يريد الخير حيث أنه يحب أن يشهد مع المصلين الصلاة ويعود ابنه على الصلاة، لكن ليس كل مريد للخير يبلغه، فإنه ربما يأثم لهذا الفعل. ***فقد أخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:*** **" اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضًا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو قال: في الصلاة ".**

فإذا كان رفع الصوت بالقرآن لا يجوز، لأنه يجذب سمع المصلي، ويشوش عليه تفكيره، فكيف برفع الصوت لا بالقرآن ولكن عن طريق صراخ الأطفال، والبكاء، والشجار الذي يُلهِي الناس عن صلاتهم؟

تنبيه: لا يُفهَم مما سبق تحريم أو عدم جواز دخول الأولاد المساجد، **لا. فالأدلة على جواز ذلك، ومنها:**

١- *ما جاء في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة قال:* **" سمعت أبا بريدة ﷺ يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال:" صدق اللهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصَّبِيِيْن يمشيان ويعثران فلم أصبر، حتى قطعت حديثي ورفعتهما ".** (صحيح الجامع:٣٧٥٧)

٢- *وأخرج الإمام أحمد:* **"أن النبي ﷺ جوَّز[١] ذات يومٍ في الفجر، فقيل: يا رسول الله ﷺ. لم جوَّزت؟ قال: سمعت بكاء صبي، فظننت أن أمه معنا تُصلِّي، فأردت أن أُفرِّغ أمه ".**

- *وفي "الصحيحين" أنه ﷺ كان يقول:* **" إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوِّز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه ".**

٣- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة ﷺ قال:* **" رأيت النبي ﷺ يؤم الناس، وأُمامة بنت أبي العاص[٢] على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها ".**

أخرج الإمام أحمد والنسائي: **" أن النبي ﷺ كان ساجدًا، ووراءه المسلمون، فأطال في سجوده حتى ظنوا أنه قُبض، ولكنه أطال لأن أحد أسباطه [٣] كان قد امتطاه، فلم يشأ أن يُعجِّل عليه حتى يقضي حاجته**

لكن دخول الأولاد المساجد لابد أن يكون بضوابط حتى لا نشوش على المصلين ونفسد عليهم صلاتهم.

١- جوَّز: خفَّف.
٢- أمامة بنت أبي العاص: هي بنت ابنته زينب - رضي الله عنها -.
٣- أسباطه: السبط: هو ولد الولد.

تنبيه: الحديث الذي رواه ابن ماجه وفيه:" جنِّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم" حديث ضعيف جدًا لا يُحْتج به، **قال الإشبيلي**: لا أصل له، **وقال الألباني-رحمه الله-**: ضعيف لا يُحتجّ به اتفاقًا.

وهناك مخالفة هي عكس السابقة:

وهي أن الرجل يترك أولاده في الشارع، أو أمام التلفاز، أو يتركهم ولا يدري أين هم، ولا أين يجلسون؟ ومع مَن يذهبون؟، ثم يأتي إلى المسجد ليصلِّي صلاة التراويح، وهذا من التناقض، حيث إنه فعل نافلة وترك واجبًا.

الوصية الخامسة عشر: إياك والغضب وهيجان الأعصاب بحجة أنك صائم :

فترى أثناء الصيام تكثر المشاجرات والسبُّ واللعن ونفاذ الصبر وعدم تحمل الغير، والصيام بريء من هذا كله براءة الذئب من دم يوسف ﷺ؛ لأن الصيام تربية وتهذيب.

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" الصيام جُنَّة فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم".**

فالصائم لا يقابل الإساءة بالإساءة، بل يذكِّر السابَّ بأن الذي يمنعني من السب وسوء الأخلاق هو صيامي.

وأخرج الحاكم بسنده أن النبي ﷺ قال: **" مَن كان سهلًا هيِّنًا ليِّنًا، حرَّمه الله على النار".**

- **فعلى الصائم أن يتخير من الأخلاق أحسنها، ومن الكلام أطيبه، حتى يكون جار الرسول ﷺ في أعالي الجنة.**

فقد أخرج الترمذي من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ في الجنَّةِ غُرفًا تُرَى ظُهورُها من بطونِها وبطونُها من ظُهورِها فقامَ أعرابيٌّ فقالَ: لمن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ فقالَ: لمن أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطَّعامَ، وأدامَ الصِّيامَ، وصلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ ".** (صحيح الترمذي: ١٩٨٤)

- **فهنيئًا لمَن أُعدَّت لهم هذه الغرف، وما أدراك ما الغرف.**

- ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة، كما تراءون الكوكب في السماء ".**

- ***وفي رواية عند البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***
" أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ".

الوصية السادسة عشر: احذر تعمد جلب المشقة على النفس:

أخرج الحاكم من حديث عائشة-رضي الله عنها-أن رسول الله ﷺ قال لها في عُمرتها: **" إنَّ لك من الأجر على قَدْر نَصَبِكِ[1] ونَفَقَتِكِ ".** (صحيح الترغيب والترهيب:١١١٦)

ومعنى الحديث: أن المشقة إذا كانت ملازمة للعبادة، بحيث لا يمكن القيام بالعبادة إلا مع تحمل هذه المشقة، فهنا يزاد في الأجر والثواب، كالمشي إلى الصلاة في شدة الحر أو البرد، أو كالسفر للحج أو العمرة، أو كالوضوء بالماء البارد (وليس هناك غيره) في الشتاء، أو التعب الحاصل من قيام الليل...

وليس المقصود من الحديث: تعذيب النفس وجلب المشقة في العبادة حتى يزداد الأجر، فهذا فهم مغلوط.

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **دَخَلَ النبيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقالَ: ما هذا الحَبْلُ؟ قالوا: هذا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: لا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ ".**

وقول النبي ﷺ: **" لِيُصَلِّ أحدُكم نَشاطَه، فإذا فترَ فلْيَقعُدْ"**، أي: ليُصلِّ كلُّ مُسلِمٍ وَقتَ نَشاطِه وقُدرتِه على الصَّلاةِ، فإذا تَعِبَ أو أصابَه المَلَلُ فلْيَقعُدْ، والمقصودُ بقولِه: **" يَقعُد"** إمَّا أنْ يكُفَّ عن الصَّلاةِ ويُسلِّمَ، أو أنْ يَجلِسَ فيها، وهو دَليلٌ على جَوازِ ابتِداءِ الصَّلاةِ قائمًا ثمَّ الجلوسِ فيها. وفي الحديث: يُكرَهُ التَّشديدُ في العِبادةِ خَشيةَ الفُتورِ، وخَوفَ المَلَلِ؛ لئلَّا يَنقطِعَ عنها المرءُ.

وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود واللفظ له عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **" إذا نعسَ أحدُكم في الصَّلاةِ فليرقد حتَّى يذْهبَ عنْهُ النَّومُ فإنَّ أحدَكم إذا صلَّى وَهوَ ناعسٌ لعلَّهُ يذْهبُ يستغفرُ فيسبُّ نفسَهُ ".** (صحيح أبي داود: ١٣١٠)

وأخرج ابن حبان أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-: **" يا عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو! بلَغني أنَّك تصومُ النَّهارَ وتقومُ اللَّيلَ فلا تفعَلْ فإنَّ لجسدِك عليك حقًّا وإنَّ لنفسِك عليك حقًّا صُمْ وأفطِرْ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيَّامٍ، صومُ الدَّهرِ" قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ إنِّي أجِدُ قوَّةً قال:" صُمْ صومَ داودَ صُمْ يومًا وأفطِرْ يومًا ". قال: وكان عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو يقولُ: يا ليتَني كُنْتُ أخَذْتُ الرُّخصةَ ".** (صحيح ابن حبان: ٣٦٣٨)

- *وفي رواية في الصحيحين قال:* **" فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ؛ وذَاكَ أنِّي كَبِرْتُ وضَعُفْتُ ".**

وفي الحديث: الاقتِصادُ في بَعْضِ العِباداتِ؛ ليَتَبَقَّى بَعضُ القوَّةِ لغَيرِها. وفيه أيضًا: بَيانُ رِفقِ رَسولِ اللهِ ﷺ بأُمَّتِه، وَشَفَقَتِه عليهم، وَإرشادِه إيَّاهُم إلى ما يُصلِحهم، وَحَثِّه إيَّاهم على ما يُطيقونَ الدَّوامَ عليه، وَنَهْيِهم عَن التَّعمُّقِ في العِبادةِ؛ لما يُخْشى مِن إفْضائِه إلى المَلَلِ أو تَرْكِ البَعضِ.

فالإسلام جاء بالتخفيف والتيسير على الناس. والتنطع والتكلف في العبادة توقع صاحبها في المشقة الزائدة والحرج المنفي في الشريعة، **وقد قال الله تعالى:** ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨).

---

[1] - النَّصَب: هو التعب.

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ . . . ﴾ (البقرة:١٨٥).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء:٢٨).

ويقول تعالى في وصف الرسول ﷺ: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف:١٥٧).

ومن دلائل اليُسر والسماحة في الشريعة **قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة:١٢٨).

ويؤكد الرسول ﷺ ذلك الأساس في أحاديث كثيرة منها:

قال ﷺ: " **يسروا ولا تعسروا** ".

وفي رواية: " **إنَّمَا بُعِثْتُم مُيَسِّرين ولَم تُبعَثُوا مُعَسِّرِينَ** ". (رواه البخاري)

وقال رسول الله ﷺ: " **بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ** ". (رواه الإمام أحمد).

وقال ﷺ أيضًا: " **هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ – قالَها ثَلاثًا –**". (أخرجه الإمام مسلم عبد الله بن مسعود ﷺ)

– ***وقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:*** " **مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ** ".

وهذا يدل على هديه ﷺ في السماحة واليُسر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " ومما ينبغي أن يعرف أن الله تعالى ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق، حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل، كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء، لا، ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله. فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع، كان أفضل؛ فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل.. ". اهـ

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: " كثيرًا ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب، لا لأن التعب والمشقة مقصود من العمل، ولكن لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب، هذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار والأغلال، ولم يجعل علينا فيه حرج، ولا أريد بنا فيه العسر.

فتحمل المشاقِّ والنصب ليس مطلوبًا لذاته، حتى يقصده العبد، بل الأجر فيها لاستلزام العبادة لها، ولما يترتب عليها من المصالح الشرعية، وقد عقد العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام فصلًا فيما يتفاوت أجره بتفاوت تحمل مشقته فقال: إن قيل: ما ضابط الفعل الشاق الذي يؤجر عليه أكثر مما يؤجر على الخفيف؟ قلت: إذا اتحد الفعلان في الشرف والشرائط والسنن والأركان، وكان أحدهما شاقًّا فقد استويا في

أجرهما لتساويهما في جميع الوظائف، وانفرد أحدهما بتحمل المشقة لأجل الله -سبحانه وتعالى-، فأثيب على تحمل المشقة لا على عين المشاق، إذ لا يصح التقرب بالمشاق، لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى، وليس عين المشاق تعظيمًا ولا توقيرًا... وذلك كالاغتسال في الصيف والربيع بالنسبة إلى الاغتسال في شدة برد الشتاء، فإن أجرهما سواء لتساويهما في الشرائط والسنن والأركان، ويزيد أجر الاغتسال في الشتاء لأجل تحمل مشقة البرد، فليس التفاوت في نفس الغسلين، وإنما التفاوت فيما لزم عنهما، وكذلك مشاق الوسائل في من يقصد المساجد والحج والغزو من مسافة قريبة، وآخر يقصد هذه العبادات من مسافة بعيدة، فإن ثوابيهما يتفاوتان بتفاوت الوسيلة، ويتساويان من جهة القيام بسنن هذه العبادات وشرائطها وأركانها، فإن الشرع يثيب على الوسائل إلى الطاعات كما يثيب على المقاصد، مع تفاوت أجور الوسائل والمقاصد... قد علمنا من موارد الشرع ومصادره أن مطلوب الشرع إنما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وليست المشقة مصلحة. بل الأمر بما يستلزم المشقة بمثابة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المر البشع، فإنه ليس غرضه إلا الشفاء ". اهـ

وعلى ذلك؛ فمن الإحسان أن يتقصد العبد القيام بعمل صالح يحبه الله تعالى ويرضاه – وإن كان يعلم أنه يستلزم وقوعه في الأذى – فيتحمله طلبًا للعبادة وثوابها، لا لمجرد المشقة. بخلاف من يفعل ما لم يؤمر به شرعًا حتى يهلك نفسه أو يلحق بها الأذى، فهذا نوع من الظلم والتعدي مخالف لمقاصد الشرع الحنيف،

ويقول الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- في" شرحه لرياض الصالحين:٣/٤٧٩": " الصوم أشق على كثير من الناس من إطعام المسكين، فلما كان أشق علم أنه أفضل، لأن الإنسان إذا عمل عبادة شاقة بأمر الله، كان أجرها أعظم، ومن ثم كان الأبعد من المسجد أعظم أجرًا من الأدنى من المسجد لأنه أكثر عملًا، لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يطلب المشقة في العبادات التي يسرها الله، هذا من التنطع في الدين، لكن إذا كلفك الله بعبادة، وشقت عليك صار هذا أعظم، أما أن تتطلب المشاقة كما يفعل بعض الجهال في أيام الشتاء، مثلًا يذهب فيتوضأ بالماء البارد ويقول: لأن إسباغ الوضوء على المكاره مما يرفع الله به الدرجات، ويمحو به الخطايا، نقول: يا أخي ما هذا أراد الرسول ﷺ إنما أراد الرسول ﷺ أن الإنسان إذا توضأ بماء بارد في أيام الشتاء كان أعظم أجرًا، ولكنه لم يقل: اقصد الماء البارد، فإذا مَنَّ الله عليك بالماء الساخن تستطيع أن تسبغ الوضوء فيه إسباغًا كاملًا فهذا أفضل ".

خلاصة ما سبق: أن التشديد على النفس في العبادة ليس مقصودًا لذاته، وقد كان النبي ﷺ يصب على رأسه الماء عند اشتداد الحر وهو صائم. ***كما ثبت ذلك في سنن أبي داود عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال:*** **" لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعَرْج يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو من الحر".**

- ***وعند البخاري تعليقًا:*** " **أنه كان لأنس بن مالك ﷺ أَبْزَن [1] يقتحم [2] فيه وهو صائم** ".

وهذا من الرفق بالجسد، والتيسير على النفس، وبث النشاط فيها، لتتمكن من مزيد من الطاعة، إذ مقصود العبادة الأعظم امتثال الأمر وتقديم الخضوع لله تعالى على محبوبات النفس وملذاتها، لا تعذيب الجسد وإيذائه والقسوة عليه.

وقد بوب البخاري في صحيحه" باب اغتسال الصائم" ثم قال: **وبل ابن عمر-رضي الله عنهما- ثوبًا فألقاه عليه وهو صائم.** ودخل الشعبي الحمام- أي للاغتسال- وهو صائم. وقال الحسن-رحمه الله-: لا بأس بالمضمضة، والتبرد للصائم ". (صححها الحافظ في" الفتح":٤/١٨٢)

ويلتحق بذلك في أيامنا أجهزة المراوح والتكييف، وبالجملة فكل ما يخفف العبادة على الشخص ويمكنه من أدائها وهو نشيط مطمئن مقبل على ربه -عز وجل- أمر مطلوب شرعًا، وكل مشقة يمكن الانفكاك عنها مع أداء العبادة على وجهها فهو من مقاصد الشرع. فعلى الإنسان إلا يشدد على نفسه في العبادة حتى لا يرهقها فينقطع عنها.

وقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داود واللفظ له من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " **اكلَفوا منَ العمَلِ ما تطيقونَ، فإنَّ اللَّهَ لا يملُّ حتَّى تملُّوا، وإنَّ أحبَّ العملِ إلى اللَّهِ أدومُهُ وإن قلَّ، وَكانَ إذا عمِلَ عملًا أثبتَه** ". (صحيح أبي داود: ١٣٦٨)

وقال ﷺ: " **إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ** ". (رواه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ).

تنبيه: قاعدة:" **أن الأجر على قدر المشقة**"، ليس مطردة في كل شيء، بل هناك من الأعمال ما هو أخف وأعظم أجرًا.

قال الزركشي-رحمه الله- في" المنثور في القواعد:٢/٤١٥": " العمل كلما كثر وشق كان أفضل مما ليس كذلك، **وفي حديث عائشة-رضي الله عنها-:** " **إنَّ لك من الأجر على قَدْر نَصَبِكِ ونَفَقَتِكِ** ". **وقد يفضل العملُ القليلُ على الكثير في صور: منها:** قصر الصلاة أفضل من الإتمام للمسافر. **ومنها:** الصلاة مرة في الجماعة أفضل من فعلها وحده خمسا وعشرين مرة. **ومنها:** تخفيف ركعتي الفجر أفضل من تطويلهما. **ومنها:** التصدق بالأضحية بعد أكل لقم منها أفضل من التصدق بجميعها. **ومنها:** قراءة سورة قصيرة في الصلاة أفضل من قراءة بعض سورة ، وإن طالت، لأنه المعهود من فعله ﷺ غالبًا ". اهـ بتصرف واختصار ". والله أعلم.

١- الأبزن: هو حجر منقور شبه الحوض.
٢- يقتحم: أي يدخل فيه، والمقصود: أنه يغتسل.

الوصية السابعة عشر: إياك والجدال والخصومة خصوصاً في رمضان:

أخرج البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلَاحَى رَجُلَانِ [1] مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ وفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ وعَسَى أَنْ يَكونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا في التَّاسِعَةِ، والسَّابِعَةِ، والخَامِسَةِ.

وفي الحديثِ: ذمُّ المُلاحَاةِ والخُصومةِ، وأنَّهما سَببُ العُقوبةِ للعامَّةِ بذَنْبِ الخاصَّةِ. وفي الحديث أيضًا دليل على أن الخصومة مذمومة، وأن الجدال سبب للحرمان، وأن المكان الذي فيه خصومه ترفع منه البركة، وزاد من فداحة هذه الخصومة وقوعها في المسجد؛ وهو محل الذكر لا اللغو. والنبي ﷺ قال:" **ولا تختَلِفوا فتَختَلِفَ قلوبُكُم، وإيَّاكُم وَهَيشاتِ الأسواقِ** ". (أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ) (صحيح أبي داود: ٦٧٥)

أضف لهذا أن هذه الخصومة والملاحة حدثت في شهر رمضان؛ شهر المغفرة والرضوان والتسامح والإحسان.

أخي الحبيب... اعلم أن الخصومة والشحناء ليست سببا في حجب المغفرة في رمضان أو في ليلة النصف من شعبان فقط، بل في جميع أوقات المغفرة والرحمة.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيُغْفَر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا ".**

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: **" كان النبي ﷺ يصوم الاثنين والخميس، فقيل له: يا رسول الله. إنك تصوم الاثنين والخميس، فقال: إن يوم الاثنين والخميس يغفِر الله فيهما لكل مسلم إلا متهاجرين، فيقول: دعوهما حتى يصطلحا ".**

- *وعند الإمام أحمد بلفظ:* **" كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له:** (أي سُئل في ذلك) **قال:" إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس، فيغفر لكل مسلم-أو لكل مؤمن- إلا المتهاجرين، فيقول أخِّرهما ".**

(صحيح الجامع: ٤٨٠٤)

والخصام والهجران سبب من أسباب دخول النار:

فقد أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ، فمَن هجر فوق ثلاثٍ فمات دخل النارَ ".** (صحيح الجامع: ٧٦٥٩)

١- الرجلان: هما عبد الله بن أبي حدرد، وكعب بن مالك -رضي الله عنهما-.

فانظروا رحمكم الله ماذا فعل الخصام؟ فقد كانت المُلاحَاة والخُصومة سببًا لرفع تعيين ليلة القدر وهذا شأن الخصومات تمنع الخير، وأنَّ المُلاحَاةَ والخُصومةَ قد تكونُ سَبَبًا لخَفاءِ بَعضِ ما يُحتاجُ إليه في الدِّينِ، فكلَّما أحدَثَ النَّاسُ ذُنوبًا، أوجَبَ ذلك خَفاءَ بَعضِ أُمورِ دِينِهم عليهم.

فإن الواجب على المسلمين أن يكونوا متحابين متآلفين، يحب كل منهما لأخيه ما يحب لنفسه، ومن كانت بينه وبين أخيه خصومه فليبادر بالصلح، ومن كانت بينه وبين أحد أرحامه قطيعة فعليه أن يقوم بصلة رحمه فإن الخير يرتفع من الأرض بسبب الخصومات والشحناء.

فعلينا جميعًا أن نعمل بوصية رب العالمين، حيث قال في كتابه الكريم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ **(الأنفال:١)**

أي: أصلحوا حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع، هذا ما يريده منَّا رب العالمين، وأما ما يريده الشيطان الرجيم، **فقد أخبرنا عنه رب العالمين فقال:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة: ٩١)

فمَن تطيع رب العالمين، أم الشيطان الرجيم؟! والجواب معروف، وتمعن أخي الحبيب في هذا الحديث الذي ***أخرجه أبو داود وأحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة".**

فعلينا بإصلاح ذات البين، والعفو عن المسيئين **عملًا بقول رب العالمين:** ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عِمرَان: ١٣٤)

والعفو والصفح من هدي النبي ﷺ:

فقد أخرج الترمذي عن عائشة-رضي الله عنها- قالَت وهي تصف خُلق رسولِ اللَّهِ ﷺ: **" لم يَكُن فاحِشًا ولا مُتفَحِّشًا ولا صخَّابًا في الأسواقِ، ولا يَجزي بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ، ولَكِن يَعفو ويَصفَحُ ".**

(صحيح الترمذي: ٢٠١٦)

واعلم أخي الحبيب أنك إن عفوت عن أخيك فإن الله تعالى يزيدك بهذا العفو عزاً.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي واللفظ له من حديث أبي كبشة الأنماري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ثلاثٌ أُقسِمُ عليهنَّ وأُحدِّثُكم حديثًا فاحفظوه، قال: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِم عبدٌ مظلمةً صبر عليها إلَّا زاده اللهُ عزًّا، فاعفوا يُعزَّكم اللهُ، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلَّا فتح اللهُ عليه بابَ فقرٍ...".

(صحيح الترمذي: ٢٣٢٥)

وأُذكرك أخي الحبيب بقول رب العالمين حيث قال في كتابه الكريم: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢)

هيا...هيا...أحبتي في الله... اعملوا بوصية الرسول الأمين ﷺ حيث قال كما في الحديث الذي أخرجه *البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* " لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ ".

فهل يتصور بعد هذا الكلام أن يكون في قلبك عداوة، أو حقد، أو غل، أو حسد، أو شحناء أو بغضاء لأحد؟!. إذا قلتَ: ما زلتُ أجد في صدري شيئًا من هذا، فأنا أوصيك بصيام ثلاثة أيام كما وصَّى بذلك رسول الله ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد عن النمر بن تولب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ وَحَرِ صَدْرِهِ[١] فَلْيَصُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ[٢]، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ". (صحيح الترغيب والترغيب: ٢٤٦٧)

وإذا قلتَ: ذهب عني ما أجد وأصبحت سليم الصدر، ولا أحمل في قلبي غلًا، ولا حقدًا، ولا غشًا، ولا حسدًا، ولا شحناء، ولا بغضاء لأحد... والحمد لله؛ فأنا أقول لك: أبشر، فلقد أصبحت من أفضل الناس.

فقد أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: " قيل يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب [٣]، صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال:" هو النقي الذي لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد ".

وأخرج ابن سعد في الطَّبقات الكبرى وابن أبي الدنيا في الصَّمت عن زيد بن أسلم أنَّه دخل على ابن أبي دُجانة، وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل، فقال له: ما لك يتهلَّل وجهك؟ قال: ما من عملِ شيءٍ أوثق عندي من اثنتين: أمَّا أحدهما: فكنت لا أتكلَّم فيما لا يعنيني، وأما الأُخْرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا".
(صفة الصفوة:١/٤٨٦)

١- وَحَر صَدْرِه الوحر بفتحتين،: أي: غشه ووساوسه، أو حقده، أو غيظه، أو عداوته، وقيل أشد الغضب، وبالجملة فالمراد تنقية الصدر.
٢- شهر الصبر: هو شهر رمضان، وصيامه واجب، وثلاثة أيام من كل شهر من أوله أو من آخره أو وسطه، وهذا صيام نفل وليس واجبا.
٣- مخموم القلب: طاهر القلب نظيفه.

وأبشرك أخي الحبيب وأقول لك: إن سلامة صدرك لإخوانك سبب لدخولك الجنة.

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي عن أنس ﷺ قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ[1] مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فلمَّا كان الغد، قال النَّبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرَّجل مثل المرَّة الأولى، فلمَّا كان اليوم الثَّالث، قال النَّبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرَّجل على مثل حاله الأولى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي[2] فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسٌ ﷺ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ[3] وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟! فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ.. غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ[4] ".

فهيا أخي... هيا... طهر قلبك وكن سليم الصدر لإخوانك لتسعد في الدنيا والآخرة، ودائمًا وأبدًا **ردِّدْ كما كان أسلافك يرددون**: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)

نسأل الله أن يُؤلِّف بين قلوب المسلمين، ولا يجعل فيها غلًا ولا حسدًا، وأن يطهِّرها من الشحناء والبغضاء... آمين.

---

١ ـ تنطف لحيته: يتساقط منها الماء.
٢ ـ لاحيت أبي: أي نازعته.
٣ـ تعارّ: أي تقلب في فراشه.
٤ـ قال ابن كثير في " تفسيره": ٣٣٨/٤: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وكذا قال محقق المسند شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

الوصية الثامنة عشر: إياك والكسل خصوصًا في رمضان شهر المغفرة والرضوان، والعتق من النيران.

وهذه الوصية من الأهمية بمكان خصوصًا في هذا الزمان، فالكسل داء عضال إذا تمكن من الإنسان أصاب دينه ودنياه، وهو عقبة كؤود في طريق السالكين إلى رب العالمين، فلا نجاح ولا فلاح إلا باجتيازها وتخطيها.

وقد عرف النووي –رحمه الله– الكسل فقال: " هو عدم انبعاث النفس للخير، وقلة الرغبة مع إمكانه ".

(شرح النووي على مسلم: ١٧/ ٢٨)

ولبيان أهمية الموضوع لنا وقفة مع *الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* **"... ويؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السَّعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسلَّمْ، وناج مَخْدُوش، ومَكْدُوس في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرهم يُسحَب سحبًا ".**

فالملاحظ من الحديث السابق هو تفاوت الناس في سرعة مرورهم على الصراط؛ وهذا بحسب درجة إيمانهم، ونشاطهم وإقبالهم على طاعة ربهم، وهناك من يتباطأ به عمله، وهناك من يُقعده كسله عن طاعة ربه، وهذا عين الخذلان والخسران.

يقول ابن كثير –رحمه الله– في" تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ (مريم:٧٢)***":*** " أي إذا مرَّ الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها مَن سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي، بحسبهم، نَجَّى الله تعالى المؤمنين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا".

وأهل الجنة كذلك يتفاوتون في المنازل والدرجات بحسب نشاطهم في العبادة وإقبالهم على الطاعة.

ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" إنَّ أهلَ الجنةِ لَيتراءَون أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم، كما تُراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ لتفاضُلَ ما بينهم...".**

وهناك صنف من الناس ظل بهم الكسل حتى أقعدهم عن العمل، فأولئك كالأنعام بل هم أضل.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩)

وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان:٤٤)

يقول الراغب الأصفهاني-رحمه الله-: " من تعطل وتبطَّل انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية، وصار من جنس الموتى، ولأن الفراغ يبطل الهيئات الإنسانية، فكل هيئة بل كل عضو تُرك استعماله يبطل، كالعين إذا أغمضت، واليد إذا تعطلت، وكما أن البدن يتعود الرفاهية بالكسل، كذلك النفس بترك النظر والتفكر تتبلد وتتبله، وترجع إلى رتبة البهائم". (الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٦٩، ٢٧٠).

استعاذة النبي- صلى الله عليه وسلم- من الكسل:

لخطورة الأمر وأهميته كان النبي ﷺ يكثر من الاستعاذة بالله من الكسل.

ففي صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا[1] أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ[2]، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا** ".

وقال القرطبي -رحمه الله- كما في" المفهم:٧/ ٣٤": " الكسل المتعوَّذ منه هو التثاقل عن الطاعات وعن السعي في تحصيل المصالح الدينية والدنيوية، والعجز المتعوذ منه هو عدم القدرة على تلك الأمور". اهـ.

وقال ابن بطال-رحمه الله- كما في" فتح الباري:١٠/ ١٧٧": " والاستعاذة من العجز والكسل؛ لأنهما يمنعان العبد من أداء حقوق الله وحقوق نفسه وأهله، وتضييع النظر في أمر معاده وأمر دنياه، وقد أُمر المؤمن بالاجتهاد في العمل والإجمال في الطلب، ولا يكون عالةً ولا عيالًا على غيره ما مُتِّع بصحة جوارحه وعقله ". اهـ.

الكسل من الشيطان:

مما لا شك فيه أن الشيطان عدو للإنسان كما قال الرحمن ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف:٥) فعداوته للإنسان ظاهرة وهو يسلك كل السبل لإغوائه والوقوع في شراكه وهذا ما صرح به اللعين فقال مخاطبًا رب العالمين: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٦،١٧) فالشيطان توعد بأن يأتي بني آدم من جميع الجهات للتزهيد في الآخرة، والترغيب في الدنيا، وإلقاء الشبهات، وتحسين الشهوات. فالشيطان حريص على أن يصد الناس عن وجوه الخير كلها وله في صرف الناس عن طرق الخير سبل ووسائل مختلفة، فهو يأتي لكل نفس من طريق يناسبها ولغاية واحدة وهي: صرفه عن الرشد إلى الغي، وعن اتباع الشرع إلى اتباع الهوى، وعن الجنة إلى النار.

١- زكها: أي طهرها.

٢- ومن نفس لا تشبع: معناه استعاذة من الحرص والطمع والشره، وتعلق النفس بالأموال

ففي جانب النهى-أي ما نهى الله عنه-:

فإن الشيطان يوسوس في النفوس ويزين المحرم، ويحث على الإقدام على المحرمات، ويهون أمرها، ويعد ويمني التوبة، ويذكر بسعة رحمة الله. **قال تعالى:** ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء:١٢٠)

وقال تعالى: ﴿ . . . . وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٦٨،١٦٩)

أما في جانب الأمر-أي ما أمر الله به -:

فيقول ابن القيم-رحمه الله- كما في كتابه" الوابل الصيب ص:٣٩": " ما أمر الله ﷻ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشتامه، فإن وجد فيه فتورًا وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة. وإن وجد عنده حذرًا، وجِدًّا وتشميرًا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسول له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه، ومقصود من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ، وإيمان، وقوة على محاربته، ولزوم الوسط، والله المستعان". اهـ باختصار.

فالشيطان-لعنه الله- مصدر الغلو والكسل، بل هو مصدر كل فتنة وشر، وما من خير وفضيلة إلا ووقف في طريقها صادًا، وما من شر ورذيلة إلا ودعا إليها وحث عليها، وقد تبين مما سبق أن كسل العبد وتفريطه من الشيطان.

ومما يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، ويَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ علَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يُشَمِّتَهُ، وأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فإنَّما هو مِنَ الشَّيْطانِ[1]، فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطاعَ، فإذا قالَ: ها، ضَحِكَ منه الشَّيْطانُ ".**

١ - قال ابن بطال- رحمه الله - كما في" فتح الباري: ٣٧٠/٩": ومعني إضافة التثاؤب إلى الشيطان: إضافة رضى وإرادة، أي أن الشيطان يحب أن يرى تثاؤب الإنسان، لأنها حال المُثْلَة وتغيير لصورته فيضحك من جوفه، لا أن الشيطان يفعل التثاؤب في الإنسان لأنه لا خالق للخير والشر غير الله، وكذلك كل ما جاء من الأفعال المنسوبة إلى الشيطان فإنها على معنيين: إما إضافة رضى وإرادة، أو إضافة بمعنى الوسوسة في الصدر، والتزيين. اهـ.

وعند مسلم أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن الحبيب النبي ﷺ قال: **" إذا تَثاءَبَ أحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بيَدِهِ علَى فِيهِ، فإنَّ الشَّيْطانَ يَدْخُلُ.. ".**

فأخبر النبي ﷺ في الأحاديث السابقة أن التثاؤب من الشيطان وهذا التثاؤب يدل على الكسل والخمول.

قال القرطبي-رحمه الله- كما في" المفهم:٦/ ٦٢٥": " التثاؤب أصله من ثاب الرجل إذا استرخى وكسل، ونسبته إلى الشيطان، لأنه يصدر عن تكسيله فإنه قل إن يصدر ذلك التثاؤب مع النشاط، وقيل: نسب إليه لأنه يرتضيه ". اهـ.

وقال المناوي-رحمه الله- كما في" فيض القدير:٢/ ٢٩٨": " التثاؤب بالهمز وقيل بالواو: هو تنفس ينفتح منه الفم بلا قصد، وذلك لأنه يكون عن امتلاء البدن وثقله، وكثرة الغذاء، وميله إلى الكسل، فيثبط صاحبه عن الطاعة، فيضحك منه الشيطان، ولهذا شرع كظمه وردُّه ما أمكن ".

وفائدة الكظم هي: عدم دخول الشيطان، ودحره وإغاظته لأنه يفرح بكسل الإنسان، فالكظم يكيده ويخزيه.

يقول ابن بطال-رحمه الله- كما في" شرح البخاري: ٩/ ٣٦٩": " فواجب اخزاؤه ودحره بردِّ التثاؤب، كما أمر النبي ﷺ ". اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- كما في" شرح رياض الصالحين:٣/ ٤٣": " التثاؤب من الشيطان، ولهذا كان الله يكرهه لأن التثاؤب يدل على الكسل والشيطان يحب من ابن آدم أن يكون كسولًا فتورًا، أعاذنا الله وإياكم منه ويكره الشيطان الرجل النشيط الجاد الذي دائما يكون في عزم وقوة ونشاط ". اهـ.

فالتثاؤب رمز الكسل وشعاره، وسلاح من أسلحة الشيطان، وجند من جنوده بعكس العطاس الذي ينفض عن العبد غبار الكسل ويجدد الحيوية في الجسد.

أضرار الكسل:

الكسل له أضرار كثيرة، ومفاسد عظيمة، وهذه الأضرار والمفاسد تعود على المرء في دينه ودنياه، ومنها:

١- ضياع العمر والصحة فيما لا فائدة فيه، وهو ما يعرف بالغبن:

فالصحة والفراغ من أعظم نعم الله على العبد، وكل نعمة مفتقرة إليهما، فاستغلال أوقات الفراغ في طاعة الرحمن سبيل لسكنى أعالي الجنان، وهذه الطاعات لا تفعل على وجه التمام إلا لمن كانت لديه صحة تعينه على فعل هذه الطاعة بقوة ونشاط.

أما الكسول والذي من الله عليه بنعمة الصحة والفراغ فإنه يضيع الأوقات وهي أغلى ما يملك دون أي فائدة تذكر، ولا أي عمل صالح يشهر، والصحة في النقصان، والعمر يهدر ويظل هكذا إلى أن يُقْبر فما أعظم غبن الكسول المهمل. ***وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ منَ النَّاسِ الصِّحَّةُ والفراغُ ".**

يقول ابن الجوزي-رحمه الله- كما في" فتح الباري: ١١/٥٧٦ ": " قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا-أي الصحة والفراغ- فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم ". اهـ.

ويقول السفاريني -رحمه الله- كما في" غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ٢/٤٤٤": " إياك والغبن، والتمادي في الكسل، وهوى النفس، واجهد في فكاك نفسك وخلاصها من القيود ". اهـ.

فكل من لا يستغل صحته وفراغه في طاعة الله سيندم يوم لا ينفع الندم.

ويقول القاري-رحمه الله- كما في" المرقاة شرح المشكاة:٩/٥": " ولا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم. **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ **(التغابن:٩)**

٢- ومن أضرار الكسل: أنه سبب للغفلة والبعد عن الله- تعالى-:

فمن الناس من يظل به الكسل حتى يثقل عليه الخير وأعمال البر فتراه لا يحضر مجالس العلم وإذا حضر كانت عليه ثقيلة ثقل الجبال وتراه لا يذكر الرحمن، ولا يقرأ القرآن، ولا يصل الأرحام، وإذا حضر إلى الصلاة يحضر بكسل وفتور بل ربما يظل به الكسل حتى يتخلف عنها.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة -رضي الله عنهم- أَنَّهُما سَمِعا رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ علَى أعْوادِ مِنْبَرِهِ: **" لَيَنْتَهِينَّ أقْوامٌ عن ودْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ علَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكونُنَّ مِنَ الغافِلِينَ ".**

قال القاضي عياض-رحمه الله- كما في" فيض القدير:٥/ ٣٧٩": " معنى هذا أن أحد الأمرين كائن لا محاله إما الانتهاء عن تركها وإما الختم، فإن اعتياد تركها يزهد في الطاعة، ويجر إلى الغفلة. اهـ.

وقد قيل: " تخلف ثلاثة عن الرسول ﷺ في غزوة، فجرى لهم ما علمت، فكيف بمن عمره في التخلف عنه؟! ". **(بدائع الفوائد: ٣/ ١٢٠٨)**

٣- من أضرار الكسل: الاتصاف بصفات المنافقين:

الكسل عن الطاعات والقربات متأصل في المنافقين، ولذلك فإنه من أبرز علاماتهم وصفاتهم، وقد نعتهم الله بذلك على سبيل الذم والتحقير. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢)

فهذا حال المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين، لأنه لا إيمان يدفعهم لفعل الخيرات، ولا خوف يمنعهم عن ترك المنهيات.

يقول ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:١/٧٨٠": هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها، لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها، ولا خشية ولا يعقلون معناها، وقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان، ولكن يقوم إليها طلق الوجه، عظيم الرغبة، شديد الفرح، فإنه يناجي الله تعالى، وأن الله أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه، **ثم تلا ابن عباس** ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ ". اهـ.

وسبب قيامهم إلى الصلاة – رُغْم الكسل والثقل الذي يجدونه **هو كما قال تعالى:** ﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ﴾ ولو أتيحت لهم الفرصة في التخلف عن الصلاة، لتخلفوا، ولهذا لا يشهدون صلاة العشاء والفجر حيث الظلمة الشديدة فهم لا يُرون فيها، ***وقد قال النبي ﷺ واصفًا لهم:*** " إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ ". (رواه مسلم).

يقول عليّ رضي الله عنه: " للمنافق ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان بين الناس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه، وينقص إذا ذُمَّ ". (الزواجر في اقتراف الكبائر:١/٦٣)

وقال تعالى أيضًا عن المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: ٥٤)

فتضمنت هذه الآية زيادة وصفهم أنهم لا ينفقون إلا على كراهية، لأنهم يعدونها مغرمًا، ولذلك فإن المنافق متكاسل عن أدائها، متردد في بذلها. **والمنافقون موصوفون أيضًا بالكسل في الجهاد**

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة ٨١،٨٢)

الحاصل أن حالة المنافقين عند سائر أعمال البر والطاعات والقربات من فرائض ومستحبات هي التكاسل والتثاقل والتهرب، وهذا حال المنافق.

يقول القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره:٨/١٤٨": " النفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة ". اهـ.

٤- ومن أضرار الكسل: الحرمان في الدنيا من السيادة، والقيادة، والريادة:

وحرمان السيادة والقيادة والريادة يكون على المستوى الخاص والعام.

أما المستوى الخاص: فالكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس. فما عُلم أن كسلان أو وسنان صاحب الهمة الضعيفة ساد قومه، أو نال درجة عالية بين أقرانه.

يقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" كتابه شفاء العليل ص:٢٢٥": " إن العقلاء قاطبة متفقون على استحسان إتعاب النفوس في تحصيل كمالاتها من العلم والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة، وطلب محمدة من ينفعهم حمده وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالا، وأرفع قدرًا، وكذلك يستحسنون إتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف، ويذمون القاعد في ذلك وينسبونه إلى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر ". اهـ.

فمن لبس رداء الكسل، والتحف بغطاء الراحة، انحط قدره، وخمل ذكره.

وقيل في حق الكسلان تهكمًا:

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فإنك الطاعم الكاسي

فالكسول لا يسود ولا يقود، ودائما يحتاج لغيره، فهو عالة على الآخرين.

بجانب أن الكسول أضاع دينه، فلا يقيمه كما أمره الله، ولا يتعلم كيف يعبد الله، ولا يهتم بتقصيره فإنه بكسله؛ أضاع كذلك نفسه حيث يحتاج دائما إلى غيره في شؤون حياته، وبكسله؛ أضاع زوجته وأولاده حيث لم يوفر لهم الحياة الكريمة.

وقد جاء في سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **كفى بالمرءِ إثمًا أن يُضَيِّعَ من يقوتُ** ". (ضعيف)

وفي صحيح مسلم: " **وأن لزوجِك عليك حقًا** ". ***وفي رواية:*** " **وإنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** ".

وعند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ** ".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " إن العبد إذا كان زاهدا بطالا، فسد أعظم فساد، وهؤلاء لا يعمرون الدنيا ولا الآخرة ". اهـ. (مجموع الفتاوى:٢٠/١٥٠)

وقد قيل: الجاهل يعتمد على الأمل، والعاقل يعتمد على العمل. (فيض القدير:٤/٢٢٩)

وقيل أيضًا: من أراد السيادة فعليه بترك الوسادة.

فالكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس، لأنه اكتفى بالكسل، ورضي أن يعيش عالة على غيره.

وقد مر بنا كلام ابن بطال-رحمه الله-حيث قال كما في" فتح الباري:١٠/١١٧": " والعجز والكسل يمنعان العبد من أداء حقوق الله، وحقوق نفسه وأهله، وتضييع النظر في أمر معاده وأمر دنياه، وقد أمر المؤمن بالاجتهاد في العمل والإجمال في الطلب ولا يكون عالة ولا عيالًا على غيره ما مُتع بصحة جوارحه وعقله". اهـ

أما على المستوى العام، فإن الكسل يؤدي بالأمم إلى التخلف عن ركب الحضارة والتقدم:

فالكسل طريق انهيار الشعوب والأمم، فأمّة يَكْسُل أبناؤها أمّة لا تبني ولا تُعمِّر، بل تتراجع عن موكب التقدم والحضارة. ولهذا لما سئل بعض البرامكة عن سبب زوال ملكهم، قال:" نوم الغدوات، وشرب العشيات

(روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: ١/ ٣٨٧)

ويقول ابن القيم -رحمه الله- كما في" شفاء العليل: ص:٢٥٠": أجمع العقلاء قاطبة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن الراحة لا تنال بالراحة، وأن من آثر اللذات فاتته اللذات ".

وكما قيل: الجَدُّ في الجِدِّ، والحرمان في الكسل.. فانصب تُصب عن قريب غاية الأمل، فهناك من الأمم المحدودة الموارد ولكن أفرادها من أصحاب الهمم العالية والإرادة القوية فسادوا وقادوا، وهناك من الأمم والتي حباها الله بالثروات البشرية والطبيعية ما لا حصر لها، ولكن إرادتها مسلوبة، وهمتها خامدة، فكان الفشل حليفها والتخلف شعارها، والفقر دثارها.

وفي ذلك قال هلال بن العلاء الرفاء:

كأن التواني أنكح العجز بنته ... وساق إليها حين زوجها مهرًا

فراشًا وطيئًا ثم قال لها اتكي ... فإنكمـا لا بد أن تلدا الفقرا

(المستطرف: ٢/١٧٧)

فإذا اتصف أبناء الأمة بالكسل فهذا سبب في تأخرها بين الأمم، لأن العمل والإنتاج هما عصب الحياة، فالأمة المنتجة القوية لها السيادة والقيادة بين الأمم، ولذلك لا سبيل إلى رفعة الأمة وقوتها إلا بالعمل والتخلي عن الكسل.

قال المناوي-رحمه الله- كما في" فيض القدير:١/ ٢١٥": " وقد قيل من رام العلا من غير كدٍّ أضاع العمر في طلب المحال. اهـ.

لذا حثنا الله تعالى على العمل والجد والسعي وسوى بين هذا وبين الجهاد في سبيله؛ **فقال سبحانه:**

﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (المزمل: ٢٠)

قال الإمام القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره: ١٩/ ٥٥ عند هذه الآية": " سوى الله في هذه الآية بين درجة المجاهدين وبين المكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلًا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله ". اهـ.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن العمل والسعي من أجل إعفاف النفس وإعالة الأولاد، وسد حاجة الوالدين، نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله:

فقد أخرج البيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة ﷺ قال: **" بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من الثنية، فلما رأيناه بأبصارنا قلنا: لو أن هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله؟ قال: فسمع مقالتنا رسول الله ﷺ فقال:" وما سبيلُ اللهِ إلا من قتل؟ من سعى على والديه ففي سبيل الله، ومن سعى على عياله ففي سبيل الله، ومن سعى على نفسه ليُعفها ففي سبيل الله، ومن سعى على التكاثر فهو في سبيل الشيطان ".** (قال الألباني: وإسناده جيد)

– *وفي رواية عند الطبراني في معاجمه الثلاثة عن كعب بن عجرة ﷺ قال:* **" مر على النبيِّ ﷺ رجلٌ فرأى أصحابُ النبي ﷺ جَلَده ونشاطَه فقالوا: يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ:" إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبويه شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان ".** (صحيح الجامع: ١٤٢٨)

٥- ومن أضرار الكسل: تفويت الأجور العظيمة:

فالكسل ربما يحمل الإنسان إلى ترك السنن الرواتب فيفوته بذلك بيت في الجنة، ويترك صيام النافلة فيفوته أن يباعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا، أو صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فيفوته صيام الدهر، ويترك قراءة القرآن فيفوته بكل حرف عشر حسنات فضلا عما يفوته في مجالس العلم من أجر وثواب، وغير ذلك من النوافل والمستحبات والتي يفوته بتركها كثير عن الأجر والثواب، بل ربما يحمل الكسل صاحبه حتى يترك الواجبات، وهذا عين الخسران.

وقد قيل في المثل: من اختار الكسل، ما اشتار العسل[1].

وقال بعض الحكماء: نكح العجزُ التواني فخرج منهما الندامة، ونكح الشؤمُ الكسل فخرج منهما الحرمان.

(أدب الدنيا والدين ص: ٣٠٨)

وقيل: دع التكاسل في الخيرات تقبلها فليس يسعدُ بالخيرات كسلان

يقول ابن القيم –رحمه الله– كما في" كتابه مفتاح دار السعادة: ١/٣٧٣": " أعظم الأسباب التي يحرم بها العبد خير الدنيا والآخرة، ولذة النعيم في الدارين، ويدخل عليه عدوه منها؛ هو الغفلة المضادة للعلم، والكسل المضاد للإرادة والعزيمة، هذان أصلُ بلاءِ العبد وحرمانه منازل السعداء، وهما من عدم العلم ".

١- اشتار: أي جمعه وجناه.

٦- ومن أضرار الكسل: أنه سبب للحسرة والندامة:

قال ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه بدائع الفوائد": " العجز والكسل قرينان وهما من أسباب الألم، لأنهما يستلزمان فوات المحبوب. فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته، فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به والتذاذها بإدراكه لو حصل ". اهـ

ويقول ابن الجوزي-رحمه الله- كما في" صيد الخاطر ص:٣١٤": " وأي عيش لمن ساكن الكسل إذا رأى أقرانه قد برزوا في العلم وهو جاهل، واستغنوا وهو فقير، فهل يبقى للالتذاذ بالكسل والراحة معنى؟ ". اهـ

وقال الشوكاني-رحمه الله- كما في" أدب الطلب ص:١٣٥": " من أرسل عنان شبابه في البطالة، وحل رباط نفسه فأجراها في ميادين الملذات لكنها تنقضي عنه اللذة، وتفارقه هذه الحلاوة، وتداهمه المرارات التي منها الندامة على اقترافه من معاصي الله، ثم الحسرة على ما فوته من العمر في غير طائل وتزداد حسرته إذا قاس نفسه بمن اشتغل بالمعالي من أترابه في مقتبل شبابه فإنه لا يزال عند مقارنته ذاته بذاته، وصفاته بصفاته في حسرات متجددات وزفرات متصاعدات، وقد فات ما فات ". اهـ بتصرف واختصار.

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: " من نام على فراش الكسل، أصبح ملقى بوادي الأسف ".

وقد قيل: " من دام كسله خاب أمله ". (أدب الدنيا والدين ص:٣٠٨)

وأكثر الناس حسرة يوم القيامة الكسالى المفرطون في جنب الله، قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٦)

وقال تعالى واصفًا حال هؤلاء يوم القيامة: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: ٢١-٢٤)

الوصية التاسعة عشر: لا تترك الدعاء في وقت السحر:

الناس في شهر رمضان في صيام وقيام، وغالب أحوالهم أنهم يسهرون ويدركون وقت السحر، ومع ذلك لا يستغلون هذه الفرصة العظيمة وقت نزول الملِك سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل، ***فيقول:*** " أنا الملك. أنا الملك. مَن الذي يدعوني فأستجيب له، مَن الذي يسألني فأعطيه، مَن الذي يستغفرني فأغفر له ". - ***وفي لفظ مسلم:*** "حتى ينفجر الفجر".

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: " إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة ".

الوصية العشرون: احذر الذنوب والمعاصي، فهي المانعة من المغفرة في شهر المغفرة:

لا يخفى على عاقل أن الذنوب والمعاصي شؤم على الأفراد والمجتمعات، وأن الذنوب سبب في زوال النعم، ونزول النقم، وتوالي المحن، وتتداعي الفتن، وكلنا يعلم ما حل بالأمم السابقة بسبب الذنوب ومحاربة علام الغيوب.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (الأنعام: ٦).

وقال جل جلاله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (غافر: ٢١).

وكم أهلكت المعاصي من أمة، وكم دمرت من مجتمعات، وكم شردت من أفراد.

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (سورة الأنبياء:١١)

فالمعاصي تهلك الحرث والنسل، وتنزع البركة، وتمنع الرزق، وما ظهرت المعاصي في ديار الا أقحطتها، ولا تمكنت من قلوب الا أعمتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها.

وصاحبُ المعصيةِ ملعون تلعنُه حتى البهائم، بخلاف صاحب الطاعة.

قال مجاهدٌ-رحمه الله- في تفسير قولِه تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٩) قال: إن البهائمَ تلعنُ عصاةَ بنى آدم إذا اشتدت السنةُ وأمسكَ المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم.

أما صاحب الطاعة فقال فيه ﷺ: **إن اللهَ وملائكتَه وأهلَ السماوات والأرَضين حتى النملةَ في جحرها وحتى الحوتَ ليُصَلُّون على معلمِ الناس الخير.** (رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حديث صحيح)

وقال ﷺ:" **لما مُرَّ عليه بجنازة: مستريح ومستراح منه. قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب".**

(رواه البخاري ومسلم)

أن المعاصي سببٌ لِهوانِ العبدِ على ربِّه، فترفع مهابته من قلوب الخلق فلا عِزّةَ إلا في طاعةِ العزيزِ سبحانه. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (سورة الحج: ١٨)

قال الحسنُ البصري-رحمه الله- عن العصاة: " هانُوا عليه فَعَصَوه، ولو عزُّوا عليه لَعَصَمَهُم ".

وقال عبدُ الله بن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبَ وقد يورثُ الذُّلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسِك عِصيانُها

فالمعاصي سبب لتحول العافية، والبعد عن رب البرية، واستجلاب سخط الرب، ودخول النار التي لا يموت الإنسان فيها ولا يحيى.

قال الحسن بن صالح-رحمه الله-: " العملُ بالحسنة قوةٌ في البدن، ونورٌ في القلب، وضوءٌ في البصر، والعملُ بالسيئة وهنٌ في البدن، وظلمةٌ في القلب، وعمىً في البصر.

والذنوب والمعاصي سبب في سواد القلب:

ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ** ".

قال إبراهيم بنُ أدهم-رحمه الله-: " إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسَعَةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق. وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القبر والقلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبُغْضَةً في قلوب الخلق ".

والذنوب والمعاصي تكسو القلب بالران:

فقد أخرج الترمذي والنسائي في" الكبرى" وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" **إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئةً نُكِتت في قلبِهِ نُكْتةٌ سوداءُ، فإذا هوَ نزعَ واستَغفرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ، وإن عادَ زيدَ فيها حتَّى تعلوَ قلبَهُ، وَهوَ الرَّانُ الَّذي ذَكرَ اللَّه كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ".

(صحيح الترمذي: ٣٣٣٤)

قال الحسن البصري-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ **(المطففين: ١٤)**، قال:" هو الذنب بعد الذنب حتى يموت القلب ". **(تفسير الطبري: ٢٤/ ٢٨٨)**.

فالعبد ما زال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه، وتصغر في قلبه، فلا يستشعر خطرها، وإن تكاثرت الذنوب طبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين.

الذنوب تحدث في الأرض الفساد:

قال ابن القيم-رحمه الله-: "ومن آثار الذنوب والمعاصي إنها تحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن، **قال تعالى:** ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم: ٤١)، فالمراد بالفساد والنقص والشر وآلام التي يُحدثها الله في الأرض بمعاصي العباد، فكل ما أحدثوا ذنبا أحدث لهم عقوبة، **كما قال بعض السلف:** كل ما أحدَثْتُم ذنبًا أحدَث الله لكم من سلطانه عقوبة، والظاهر والله أعلم أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها، **ويدل عليه قوله تعالى:** ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ (الروم: ٤١) فهذا حالنا، وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة ". اهـ

والذنوب تؤدي إلى ذهاب الحياء:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عمران بن الحصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ.."..

فمن قارف المعاصي ولازمها تولد في قلبه الاستئناس بها وقبولها، ولا يزال كذلك حتى يذهب عنه استقباحها ثم يبدأ بالمجاهرة بها وإعلانها.

قال النبي ﷺ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعافًى إِلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقَدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنْه ". (أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ)

والذنوب تزيل عن العبد النعم، وتحل به النقم:

قال علي ﷺ: "ما نزل بلاء إلا بذنبٍ، ولا رُفع إلا بتوبة ".

كما أن الذنوب لها آثار سيئة على الفرد، فهي كذلك لها آثار سيئة على المجتمع:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

فقد أخرج الإمام أحمدُ في الزُّهد وغيرُه عن جُبيرِ بنِ نُفيْر قال: لما فُتِحَتْ قبرص فُرِّقَ بين أهلِها فبكى بعضُهم إلى بعض، ورأيتُ أبا الدرداءِ ﷺ جالسًا وحدَه يبكي، فقلتُ: يا أبا الدرداء! ما يبكيكَ في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلامَ وأهلَه؟ قال: ويحَك يا جبير؛ ما أهونَ الخلقِ على اللهِ إذا أضاعوا أمرَه. بينا هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ لهم الملكُ، تركوا أمرَ اللهِ فَصَارُوا إلى ما ترى ".

وصدق الله حيث قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٠)

والذنوب سبب لحِرْمانِ العبد من الطاعة:

وهذا هو بيت القصيد، وكأن ما سبق مقدمة لهذا العنصر. فاحذر الذنوب في رمضان وفي غيره من الأيام فإنها تقطع الطريق عن الله.

قال ابن القيم-رحمه الله-: " حُبُّ الكتابِ وحبُّ ألحانِ الغناء في قلبِ عبدٍ ليس يجتمعان ".

وذلك أن الطاعة قُربةٌ إلى الملك الديان، فلا يجد عبدٌ لذة الطاعة إلا بابتعاده عن المعصية، ولذا قال سبحانه في المنافقين: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾

(التوبة: ٤٦)

قال الفضيل-رحمه الله-: إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيام النهار، فاعلم أنك محروم، قد كبلتك الخطايا والذنوب ".

وقال شابٌ للحسن البصري-رحمه الله-: أعياني قيام الليل، فقال: قيدتك خطاياك.

وقال-رحمه الله- أيضًا: " إن الرجل ليذنب الذنب، فيحرم به قيام الليل ".

وقال سفيان الثوري-رحمه الله-: " حرمتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلًا يبكي فقلت في نفسي:" هذا مراءٍ ".

فاحذر في رمضان خصوصًا، وفي غيره من أيام العام عمومًا الذنوب المانعة من المغفرة، الماحية للحسنات، والمحبطة للأعمال؛ كالرياء، والابتداع، وعقوق الوالدين، وقطع الأرحام، وأكل الحرام، والظلم والطغيان، والغيبة والنميمة والبهتان، وغير ذلك من الذنوب والعصيان فإنها تقطع الطريق إلى الله.

الوصية الحادية والعشرون: احذر هذه الصلاة المخترعة التي تُفْعَل ليلة عيد الفطر:

وهي مائة ركعة بالفاتحة والإخلاص "عشر مرات"، ويستغفر بعدها مائة مرة..... إلخ.

وفيها حديث طويل ذكره السيوطي في "اللآلئ"، **وقال:** موضوع، وكذا صلاة نهارها.

الوصية الثانية والعشرون: إياك والغفلة خصوصًا في رمضان:

ورمضان كما هو معلوم شهر المغفرة والرضوان والعتق من النيران، فلا يحتمل فيه الغفلة ولا التقصير، فإلى أهل الغفلة **أذكرهم بحديث النبي** ﷺ:" رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذكرتُ عنده فلم يُصَلِّ عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له، ورَغِمَ أنفُ رجل أدرك عنده أبَواهُ الكِبَر فلم يُدْخلاهُ الجنة"

(أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ) (صحيح الجامع: ٣٥١٠)

– ***وفي رواية أخرى عند الطبراني من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** "أتاني جبريل، فقال: يا محمدُ! مَن أدرك أحدَ والديهِ فمات فدخل النار فأبعدَه الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: يا محمد! مَن أدرك شهرَ رمضانَ فماتَ ولم يُغفَر له فأُدخلَ النارَ فأبعده الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: ومَن ذُكرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك فماتَ فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين".

(صحيح الترغيب والترهيب:٩٨٦) (صحيح الجامع: ٧٥)

فرمضان فرصة قد لا تتكرر لك، وموسم قد لا يُعوض، فالبدار البدار قبل فجأة الموت، وعندها يطلب الإنسان العود لإصلاح الزاد ليوم الميعاد، ولكن يُقال له: فات.

– أيها الغافل عن شرف هذا الزمان، **أين أنت من قول الرحمن:** ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢١)

أين أنت من قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤)

فالصالحون تنافسوا في الخيرات، ففازوا بالحسنات، طمعًا في الجنات، وأنت أيها المسكين ما زلت أسيرًا للشهوات، وعبدًا للَّذات، وقلوب المتقين إلى هذا الشهر تحنُّ، ومن ألم فراقه تئنُّ، وأنت ما زلت في غفلة

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب حتى عصى ربه في شهر شعبان

لقد أظلك شهر الصوم بعدهما فلا تصيره أيضًا شهر عصيان

آه من لوعة ضيف كريم بين قوم من الساهين الغافلين، آه لو نعرف حق هذا الشهر وقدره؛ لتمنينا أن تكون السنة كلها رمضان، ولكنها الغفلة التي ملئت قلوب الساهين اللاهين الغافلين.

يقول ابن القيم–رحمه الله– في" كتابه الفوائد:١/٩٨": " خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر".

فالغفلة داء عضال، ومرض خطير، أصيب به البعض في هذه الأزمان، وقد حذر القرآن الكريم من الغفلة أشد التحذير، حتى وصف بها أهل النار الذين خلقوا لها **فقال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

(الأعراف: ١٧٩)

ولكن للأسف وقع الكثير منا في الغفلة، فكلنا يعلم أن العمر قصير والباقي منه هو اليسير ومع ذلك نجد البعض لا يعمره بطاعة الله.

كلنا يعلم أن الآجال مكتوبة ومع ذلك نجد البعض يطيل الأمل ويسيء العمل.

كلنا يعلم أن الأرزاق مقسومة ومع ذلك نجد البعض يطلبه بمعصية الله.

نسمع المواعظ فلا ننتهي، ومات عند الكثير منا الشعور بالذنب أو التقصير.

نعلم أن الجنة تزين فوقنا والنار تسعر تحتنا ومع ذلك نجد البعض بينهما يلهو ويلعب.

نعلم أن أعمارنا هي رأس مالنا ومع ذلك نضيعها في الذنوب والمعاصي.

تمر بنا مواسم الطاعات والتي تتضاعف فيها الحسنات وترفع فيها الدرجات ومع ذلك لا نغتنمها.

وهذه الغفلة والتي حذرنا منها رب العالمين في كتابه الكريم **فقال تعالى:** ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)

وسبب الوقوع في الغفلة الوقوع في المعاصي والذنوب.

يقول ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه الفوائد:١/٩٨": " ومن شؤم المعصية: قلّة التوفيق وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربّه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال. وتتولّد من المعصية الغفلة عن ذكر الله، كما يتولّد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار، وأضداد هذه تتولّد عن الطاعة ". اهـ

والله تعالى يخاطب عباده حتى يفيقوا من غفلتهم فيقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦)

يقول ابن مسعود ﷺ كما في صحيح مسلم: " ما كانَ بيْنَ إسْلَامِنَا وبيْنَ أنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بهذِهِ الآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلَّا أرْبَعُ سِنِينَ ".

أيها الغافل... دبر لدينك كما دبّرت لدنياك، لو دخلت في قدميك شوكة لسهرت تتألم شاكيًا طالبًا من يزيل شكواك، وهذه أشواك المعاصي ملات قلبك منذ سنين، فأين صوت الأنين؟ أين طلب المعين؟

ويحك ألا تتألم لقلبك كما تألمت لبدنك؟!

فرمضان يحمل إليك الدواء فكيف تردّه خائبًا وقد جاءك هاديًا؟! وكيف لا تُحسن استقباله وبين يديه أسباب شفائك وبالمجان؟!

ولقد مات عند الكثير من أهل الغفلة الشعور بالذنب، ومات عندهم الشعور بالتقصير، حتى ظن الكثير منهم أنه على خير عظيم، ونسي المعاصي والمخالفات التي يستهين بها ولا يلقي لها بالًا ويظن أنها لا تضره شيئا وهي التي قد تكون سببًا لهلاكه وخسارته في الدنيا والآخرة وهو لا يشعر.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسولَ اللهِ ﷺ: **" إياكم ومحقراتِ الذنوبِ فإنهُنَّ يجتمعنَ على الرجلِ حتى يُهلكنَهُ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ضرب لهنَّ مثلًا كمثلِ قومٍ نزلوا أرضَ فلاةٍ فحضر صنيعُ القومِ فجعل الرجلُ ينطلقُ فيجيءُ بالعودِ والرجلُ يجيءُ بالعودِ حتى جمعوا سوادًا فأَجَّجُوا نارًا وأنضجوا ما قذفوا فيها ".**

(صححه الشيخ أحمد شاكر في تخريج المسند)

أيها الغافل... أين حُرقة الاجتهاد في نهار رمضان؟ أين قلق التهجد في الأسحار؟! فاحذر من الغفلة والتفريط، واندم وأبكِ على ما فاتك من الأجر والثواب، قبل أن يأتي يوم لا ينفع المفرط فيه بكاؤه وقد عَظُمَتْ فيه مصيبته وجَلَّ عَزَاؤُه؟ وماذا ينفعه البكاء وقَدْ ضَيَّع الليالي في اللهو واللعب؟ ماذا ينفعه البكاء وقَدْ كَانَ يَتَسَكَّعُ في الأسواق، وكان يجلس مع الأصحاب بعيدًا عن ذكر الله تعالى، والتراويح تُصَلَّى، والناس يتلون كتاب الله تعالى؟ ماذا ينفعه البكاء؟ وقد مضى الأجل، ولا سبيل للعمل، وما بقي إلا الندم، حيث لا ينفع الندم، **وقد قال تعالى لهؤلاء يوم القيامة:** ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فما للظالمينَ مِن نَصِيرٍ﴾ (فاطر: ٣٧).

كم نُصِحَ المسكين فما قَبِلَ النصحَ.. كم دُعِيَ إلى المصالحة فما أَجَابَ إلى الصلح.. كم شاهدَ المتواصلين فيه وهو مُتباعد... كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت، وحاق به المقت.. ندم على التفريط حين لا ينفع الندم، وطلب الاستدراك في وقت العدم، ومتى رَأَيْتَ العَقْلَ يُؤْثِرُ الفَانِي على الباقي فَاعْلَمْ أَنه قَدْ مُسِخَ...

يقول ابن القيم-رحمه الله-: " متى رَأَيْتَ القَلْبَ قَدْ تَرَحَّلَ عنه حُبُّ الله والاستعداد للقائه، وحَلَّ حب المخلوق والرضا بالحياة الدنيا والطمأنينة بها، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ خُسِفَ به. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (يونس: ٧). ومتى جَفَّتِ العين من البكاء مِنْ خَشْيَةِ الله تعالى فَاعْلَمْ أَنَّ قَحْطَهَا مِنْ قسوة القلب، وأبعد القلوبِ مِنَ الله القلب القاسي. ومَتَى رَأَيْتَ لَذَّةَ تَهَرُّبٍ مِنَ الأُنْسِ به سبحانه إلى الأُنس بالخلق، ومن الخلوة مع الله إلى الخلوة مع الأغيارِ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ لا تَصْلُحُ له... واعلم أن مَنْ رَكِبَ ظَهْرَ الأماني والتفريط والتواني نَزَلَ بدار الحسرة والندامة ". اهـ

وصدق القائل حيث قال:

جرتِ السنونُ وَقَدْ مَضَى العُمُرُ والقَلْبُ لا شُكْــرٌ ولا ذِكْــرُ
والغَفْلَــةُ الصمــــاءُ شَاهِــرَةٌ سَيْفًا بِــهِ يَتَصَرَّمُ العُمُــرُ
حتى متى يا قلبُ تَغْــرَقُ في لُججِ الهَوى إِنَّ الهَوى بَحْرُ

أيها الغافل... ***يقول لك الحسن البصري-رحمه الله-:*** " لا تكن شاة الراعي أعقل منك، تزجرها الصيحة، وتطردها الإشارة ".

وأنت أيها الغافل كم زجرتك آيات الله من النار تخوفك فلا تخاف؟ وإلى الجنة تدعوك فتعرض وكأن المخاطب غيرك.

أيها الغافل... الغنم وهي التي لا عقل لها تَحذرُ من ذئب يفترسها فينهي حياتها، وأنت تعلم أن الشيطان هو ذئب الإنسان أما تخشى أن يفترس الشيطان إيمانك، وينهش قلبك، فتكون طعمة للنار وتتعرض لغضب الجبار.

أيها الغافل... أتبيع الغالي بالرخيص وتزعم أنك عاقل، تترك جنة عرضها السماوات والأرض لأجل الدنيا الفانية وتدّعي الفهم؟

نراك تمر عليك خيرُ أيام الدنيا وأنت في الهوى قد شُدّ عليك الوثاق، والله لن يلتفت إليك أحدٌ حين تعض يديك من الحسرة يوم التلاق، ماذا عنك لو رأيت ركاب الأبرار سبقتك الى جوار الحبيب المختار، وأنت واقف على الساحل محتار، أنت المراد يا غافل.. أخبرني ألك عمر غير هذا العمر؟! أتملك غير هذه الأيام؟

أيها الغافل... المهر اليوم يسير، يكفيك فيه وقفة تتزود خلالها، ثم نهضة تنطلق بعدها.

أيها الغافل... إن لم يحيا قلبك في رمضان فمتى يحيا؟ ومتى تبرأ الروح من دائها إن لم يكن ذلك في شهر الشفاء؟!

فويل لمن نزل أرض المغفرة ولم يخرج منها بسهم. وويل لمن شهد موسم الأرباح ولم يظفر من الجنة بقصر. وويل لمن حضر سوق الرحمات فنام والسوق سينقضي آخر الشهر. ويل له... ثم ويل له.

فَأَقُولُ لِمَنْ فَرَّطَ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَأَضَاعَ نَفْسَهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَلَمْ يَزْدَدَ فِي رمضان مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا وَلَا مِنَ الرَّحْمَنِ إِلَّا مَقْتًا وَرَدًّا...

أَقُولُ لَهُ: يَا مَنْ ضَيَّعَ عُمُرَهُ فِي غَيْرِ الطَّاعَةِ. يا من فرط في شَهْرِهِ بَلْ فِي دَهْرِهِ وَأَضَاعَهُ. يا مَنْ بضَاعَتُهُ التَّسْوِيفُ وَالتَّفْرِيطُ وَبِئْسَتِ البِضَاعَةُ. يا مَنْ جَعَلَ خَصْمَهُ القُرْآنَ وَشَهْرَ رَمَضَانَ.. كَيْفَ تَرْجُو بِمَنْ جعلته خصمك الشفاعة؟!

وَيلٌ مَنْ شُفَعَاؤُهُ خُصَمَاؤُهُ وَالصُّورُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ يُنْفَخُ

فيا مَنْ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي! هذا أَوَانُ التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ، فَتُبْ إِلَى مَوْلَاكَ. يَا مِنْ أَضَاعَ نَفْسَهُ وَانْهَمَكَ فِي الْمُحَرَّمَاتِ. هذَا مَوْسِمٌ تُفَتَّحُ فِيهِ الجِنَانُ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ النِّيرَانِ.

فالتوبة التوبة... الأوبة الأوبة

فهيا أيها الغافل... البدار البدار باغتنام هذه الأوقات والتعرض لهذه النفحات، ولتتزود فيها قبل انقطاع الزاد، فمن رُحِمَ في رمضان؛ فهو المرحوم، من حُرِمَ خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود لمعاده فهو ملوم،

فها قد جاءكم شهر رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد

فأد حقـــوقه قـــولًا وعمـــلًا وزادك فـاتخـــذه للميعـــاد

مـــن زرع الحبـــوب وما سقاهـا تـــأوه نادمًا يـــوم الحصـاد

اللهم أيقظنا جميعًا من سبات الغفلات قبل الممات.

أيها الغافل... يا من أدركت رمضان وأنت ضارب عنه صفحًا بالنسيان، هل ضمنت لنفسك الفوز والغفران؟ أتراك اليوم تفيق من هذا الهوان قبل أن يرحل شهر القرآن والعتق من النيران؟ لعله يكون بالنسبة لك آخر رمضان.

أيها الغافل... في رمضان أسباب المغفرة متوفرة، فأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النيران مغلقة، والشياطين مصفدة، من قام رمضان لله إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم ذنبه، فيه ليلة خير من ألف شهر من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم ذنبه، ولله فيه عتقاء من النار وذلك في كل ليلة، فهل يتصور بعد ذلك أن يمر عليك رمضان وتخرج منه صفر اليدين ولم يُغفر لك؟ والله إن كان ذلك كذلك فقد رغم أنفك، ولا تلومن إلا نفسك، وقد قال تعالى في الحديث القدسي:" **يا عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ...**". الحديث (رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري ﷺ)

أيها الغافل... اعلم أن رمضان وصفه رب العالمين في كتاب الكريم فقال: ﴿**أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ**﴾(البقرة: ١٨٤) فسرعان ما يولي هذا الضيف الكريم والشهر العظيم، فمع كونه موسمًا رابحًا لكنه سريع الرحيل، والمشقة الناشئة عن الاجتهاد في العبادة تذهب لكن يبقى الأجر وانشراح الصدر، لكن إن فرطت وقصرت ذهبت ساعات لهوك وغفلتك وبقيت التبعات والأوزار.

أيها الغافل... قف مع نفسك وقفة صدق وحاسب نفسك قبل أن تحاسب، فلقد أمرنا الله ﷻ بمحاسبة النفس؛ **فقال تعالى:** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (الحشر:١٨)

فالله تعالى يأمر المؤمنين بالتقوى، ويحثهم على مداومة طاعته، ويدعو كل مؤمنٍ إلى مراقبة نفسه، ومراجعة حسناته وسيئاته، عسى أن يتزوَّد المحسن من الطاعات، ويتدارك المسيء ما مضى وفات، ويعلم المُقصِّر أن أمامه يومًا يُحاسَب فيه، وربًّا هو ملاقيه فيجتهد ويجد ويعمل ويكد.

وقد رُوي في الحديث: **" الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني ".** (أخرجه الترمذي والحاكم بسند فيه مقال)

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: **" حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنُوا أعمالكم قبل أن تُوزَنُوا، وتهيَّئوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ".**

فالمُفرِّط المُقصِّر يقف مع نفسه وقفة صدق، ويقول لها:

يا نفس قد أزف الرحيل ... وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس لا ... يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزلٍ ينسى ... الخليل فيه الخليل
وليركبن عليك فيه ... من الثرى ثقل ثقيل

ويحك يا نفس... تنشغلين بعمارة دنياك مع كثرة خطاياك كأنك غير مرتحلة عنها.

أما تنظرين إلى أهل القبور، كيف جمعوا كثيرًا؛ فأصبح جمعهم بورًا، وبنوا مشيدًا؛ فصار بنيانهم قبورًا، وأمَّلوا بعيدًا؛ فصار أملهم زورًا.

ويحك يا نفس... أما لك بهم عبرة، أما لك إليهم نظرة.

أتظنين أنهم دُعوا إلى الآخرة، وأنت من المخلدين.

ويحك يا نفس... هيهات... هيهات ساء ما تتوهمين

ما أنت إلا في هدم عمرك؛ منذ أن سقطت من بطن أمك.

ويحك يا نفس... تُعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك، وتقبلين على الدنيا وهي فارة معرضة عنك.

فكم من مستقبلٍ يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل غدًا لا يبلغه.

ويحك يا نفس... ما أعظم جهلك! أما تعرفين أن بين يديك الجنة أو النار، وأنت سائرة إلى أحدهما.

فما لك تفرحين وتمرحين وباللهو تنشغلين؟! وأنت مطلوبة لهذا الأمر الجسيم، عساك اليوم أو غدًا بالموت تختطفين.

ويحك يا نفس... أراك ترين الموت بعيدًا والله يراه قريبًا، فما لك لا تستعدين للموت، وهو أقرب إليك من كل قريب، أما تتدبَّرين؟

يا نفس... كيف أنتِ مني غدًا وقد رأيتِ ركاب أهل الجنة يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، كيف قد حيل بينك وبينهم؟ هل ينفع الندم؟ هل تغني الحسرات؟ هل ينفع طلب الرجوع بعد الممات؟

يا نفس... انظري واعتبري بمن سكن القبور بعد القصور، واعلمي أن الفرصة واحدة لا تتكرر، فإذا جاءت السكرة فلا رجعة ولا عودة، فأنت في دار المهلة، فاعملي قبل النقلة، قبل أن تقولي: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ(٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون:٩٩،١٠٠) فيقال لكِ: فات.

يا نفس... هي جنة أو نار. فوز أو خسار. نعيم أو جحيم. سعادة أو عذاب.

لكن يبقى هنا سؤال... هل انتهى بي الأمل؟ هل كُتب عليّ أن أُجازى بسوء العمل.

لا. وربي، بل لا يزال في العمر فسحة، وباب التوبة مفتوح، فدعيني يا نفس أبادر يومي بعدما فرطت في أمسي، دعيني قبل أن تغيب عن هذه الدنيا شمسي، دعيني فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فها هو شهر التوبة والأوبة جاء لتحيا هذه القلوب التي طالما قست، ولتدمع هذه العيون التي طالما تحجرت، ولتخشع هذه الجوارح التي طالما عصت، جاء ليقول لهذه العيون صومي عن النظر إلى الحرام، جاء ليقول لهذه الألسن صومي عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، جاء ليقول لهذه الجوارح صومي عن العصيان، جاء ليقول لهذه البطون صومي عن أكل الحرام، جاء ليقول لهذه الأيدي صومي عن الرشوة، وسفك الدماء، وظلم العباد، جاء يدعونا جميعًا لجنة عرضها الأرض والسماوات.

فأين اللائذ بالجناب؟ أين المتعرض بالباب. أين الباكي على ما جنى؟ أين المستغفر لأمر قد دنا؟ هلموا جميعا فالله يناديكم ويقول لكم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)

فالغفلة أحبتي في الله مرض خطير ينبغي للإنسان أن يسارع في طلب العلاج.

وعلاج الغفلة يتلخص في:

أولًا: ذكر الله تعالى، وقراءة القرآن الكريم:

وقد حذر الله تعالى من الغفلة عن ذكره؛ فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

ثانيًا: حضور مجالس الذكر:

فإنها تذكر بالله، وتلين القلوب، وتذكر بعقابه وجنته وعفوه؛ ككلمة بعد الصلاة في المسجد، أو خطبة جمعة، أو كلمة في إذاعة.

ثالثًا: معرفة حقيقة الدنيا وأنها لا قيمة لها عند الله:

فحقيقتها أخبر عنها الرسول ﷺ فيما أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ** ".

(صحيح الترمذي: ٢٣٢٠)

رابعًا: الإكثار من ذكر القبر والموت:

فكفى بالموت واعظًا، **فعن محمد بن المتوكل قال:" بلغني أن خاتم عمر نقشه: كفى بالموت واعظًا يا عمر"**، وكفى به منبهًا ومذكرًا، فكيف لمن يتذكر الموت، ويحضر الجنائز، ويزور المقابر؛ أن يكون غافلًا عن طاعة ربه وعبادته ولقائه؟!.

خامسًا: قصر الأمل:

أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: " **أَخَذَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بمَنْكِبِي، فَقَالَ:" كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ". وكانَ ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ".**

سادسًا: البعد عن أهل الغفلة وعدم طاعتهم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: صار تبعا لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾ (الجاثية:٢٣) ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ﴾ أي: مصالح دينه ودنياه ﴿فُرُطًا﴾ أي: ضائعة معطلة. فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماما". اهـ

تنبيهات:

١- هناك من الوصايا التحذيرية والتي ذُكرت في ثنايا الرسائل السابقة: كالوصايا الخاصة بالصيام، والوصايا الخاصة بصلاة التراويح، والوتر، والأئمة، والوصايا الخاصة بالطعام والنساء، والوصايا القرآنية، والوصايا العامة. فارجع إليها مشكورًا غير مأمور.

٢- اعتقاد البعض أن الزواج في رمضان حرام:

وهذا اعتقاد باطل، فإن الزواج جائز في جميع الأوقات، إلا للمُحْرِم حتى يتحلل، ومما يدل على إباحة الزواج في رمضان أن الله ﷻ أباح الجماع بعد الإفطار إلى طلوع الفجر الصادق، **قال تعالى:** ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧)

٣- تسمية الناس الجمعة الأخيرة من رمضان بالجمعة اليتيمة:

وهذه التسمية ليس لها سند من الدين.

٤- اعتقاد البعض أن ليلة "سبع وعشرين من رمضان" هي ليلة القدر:

وهذا اعتقاد خاطئ حيث إنها تنتقل في الليالي الوترية في العشر الأواخر من رمضان.

يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في" فتح الباري": " أرجح الأقوال: أنها في وتر من العشر الأخيرة وأنها تنتقل ". اهـ

- **وقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- هذا السؤال وفيه: اعتاد بعض المسلمين، وصف ليلة سبع وعشرين من رمضان بأنها ليلة القدر، فهل لهذا التحديد أصل؟ وهل عليه دليل؟**

فقال رحمه الله: نعم. لهذا التحديد أصل، وهو أن ليلة سبع وعشرين أرجى ما تكون ليلة القدر، **كما جاء ذلك في "صحيح مسلم" من حديث أبيّ بن كعب** ﷺ، لكن القول الراجح من أقوال أهل العلم التي بلغت فوق أربعين قولًا: إن ليلة القدر في العشر الأواخر، ولاسيما في السبع الأواخر منها، فقد تكون ليلة سبع وعشرين وقد تكون ليلة خمس وعشرين، وقد تكون ليلة ثلاث وعشرين، وقد تكون ليلة تسع وعشرين....إلى آخر ما قاله -رحمه الله-.

وقال الشيخ على محفوظ -رحمه الله- في كتاب "الإبداع في مضار الابتداع" تحت عنوان "المواسم التي نسبوها للشرع وليست منه": ومنها ليلة القدر، ولا شك أن إحياءها مستحب كسائر ليالي الشهر، خصوصًا ليالي العشر الأواخر منه، وقد حسمت الأحاديث في ذلك، ***فقد أخرج البخاري ومسلم:*** **"مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه"**، ولكن النظر في تخصيصها بالإحياء من بين الليالي فإنه يوهم الناس أن ذلك مشروع وهو ليس كذلك، فإنه ﷺ حث على قيام ليالي رمضان كله، وحث على التماس ليلة القدر في العشر الأواخر منه، وهذا يفيد أن إحياء هذه الليلة بخصوصها وجعلها موسمًا لا أصل له فهو بدعة. أضف إلى ذلك أن إحياءها يكون بغير ما رغب الشارع فيه من إيقاد المنائر، وكثرة الإضاءة في المساجد إلى غير ذلك مما لا فائدة فيه ولا غرض صحيح ". اهـ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك